روايات عبير

رحلة العمر

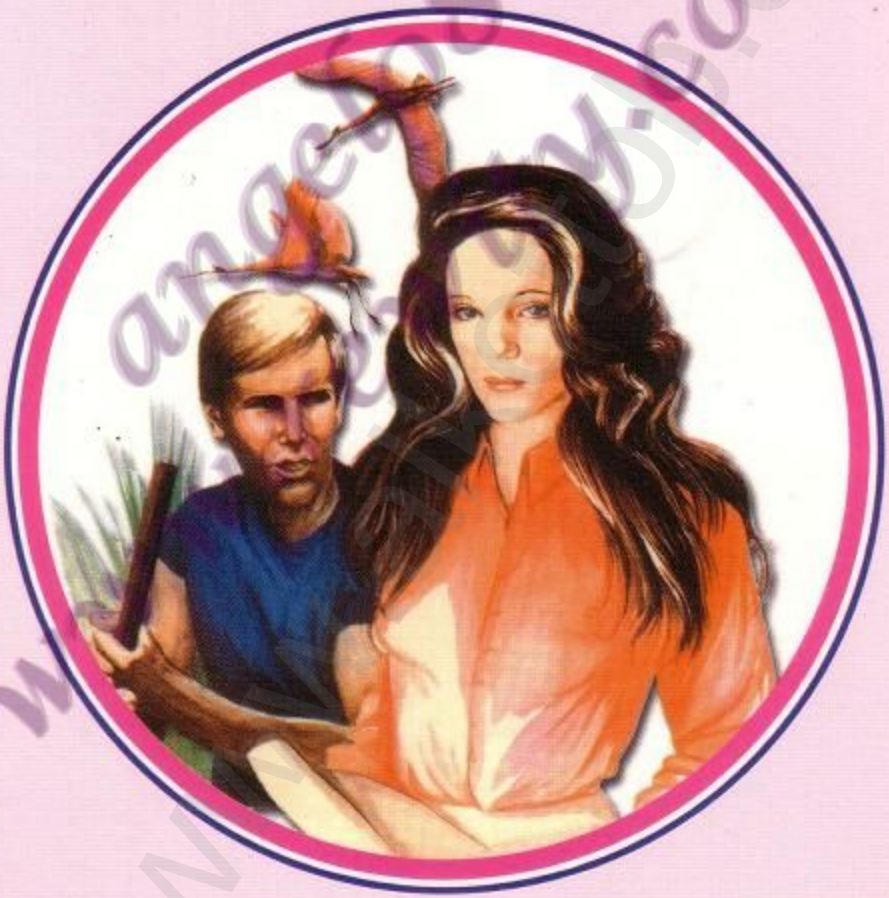

Jane LORISTAN

N° 611

www.alkottob.com

المقدمة

رواية إنسانية اجتماعية رومانسية مشوقة، تدور أحداثها في مواقع متناقضة ما بين دور الرعاية الاجتماعية وأجواء "هوليود" المعروفة في تساوق تام، هيأت الطبيعة الخلابة فيه إطارا خلابا ومبررا للتداخل.

angelo8
www.rewity.com

www.alkottob.com

شخصيات الرواية

"كارولين جراي" : بطلة الرواية فتاة الأعمال الذكية النشطة.

"چيفري جولدويل" : بطل الرواية رجل الأعمال الثري.

"ألبستير جراي" : والد "كارولين".

الأخت "چوان" والأخت "چوزفين" : عمتاها الراهبتان.

الغلاف الأمامي

ظل "چيفري" على غير ما توقعت "كارولين" ملازما لها، بينما أجرت إحدى الممرضات التحريات عن ظروف الحادث:

– هل لك اشتراك في نظام التأمين الصحي؟

– نعم.. لكن بطاقة الاشتراك ليست معي حاليا. اشتراكي في هذا النظام من خلال صاحب عملي وهو مكتب "ماچان" للاستشارات.

صاح "چيفري" متعجبا:

– ماذا؟

رأت "كارولين" الدهشة واضحة على وجهه، بينما لاح في عينيه شعاع لم تفهم له معنى.

تساءلت عن سبب هذا الانفعال المفاجئ، ثم تذكرت أنها لم تكن قد حدثته سوى عن عملها كمدرسة للمنحرفات الصغيرات. لكنها استبعدت أن يكون لوكيل فناني "هوليوود" أي اهتمام بفتاة مثلها.

وجدت نفسها مرة أخرى أمام ذلك الشاب النحيل المغوي شره النظرات، الذي كان قد ألقى بنفسه في الماء وهو يصيح بتلك الألفاظ غير المستحبة.

– لماذا لم تخبريني بأنك لست راهبة مستجدة؟

www.alkottob.com

الفصل الأول

– يا إلهي! يوجد تيار شديد هنا. ماذا أفعل يا "كارولين"؟

فأجابت الفتاة الأخت "جوزفين" بقولها:

– حاولي أن تحتفظي بقاربك على استقامة واحدة.

قالت الفتاة ذلك بينما كانت تحاول جاهدة السيطرة على قاربها هي.

قالت إحدى الصبيتين البالغتين من العمر حوالي اثني عشر عاما، واللتين كانتا جالستين إلى جوارها في تذمر:

– ما الذي سيصيبنا؟

صدمت "كارولين" –في محاولاتها المستميتة– قارب الأخت "الراهبة" الذي كان مثبتا بإحدى الصخور. بدأت "أمبر" و"لوسي" تبكيان، بينما رفعت الراهبة نحو "كارولين" وجها هادئا وإن بدت عليه علامات الكدر. قالت "لوسي":

– سوف نلقى حتفنا.

عندئذ جاء صوت رجولي نافذ:

– الجحيم والهلاك!

نهضت الفتاة غير مولية أدنى انتباه إلى ذلك القسم وألقت بنفسها في الماء.

صاحت رفيقاتها بصوت واحد:

– "كارولين"!

فصاح الرجل الجالس على مقعده:

– لا تتحركي!

جازفت بإلقاء نظرة في اتجاه الصوت، بينما تشبثت بمؤخر القارب حتى لا تفقد توازنها، رأته طويل القامة، ارتدى حلة رياضية، بدا شارد الذهن وأخذ يشير بحماس. كان من الممكن أن تقضي ساعات

طويلة تتأمله خلالها.

لكن ولسوء الحظ كانت وسط تيارات مائية تحاول جاهدة إنقاذ قارب مهدد بالانقلاب في أية لحظة. قالت الفتاة:

– أختي.. سأحاول إنقاذك.

وتقدمت "كارولين" بتعقل دون أن تتخلى عن تشبثها بالقارب.

– لا، يا إلهي!

كانت "كارولين" مشغولة إلى حد لم يسمح لها بالالتفات إلى هذه الملاحظة بسبب تشتت ذهنها، لكنها تبينت أن النجدة قد أتتها على هيئة هذا الرجل الغاضب في وقت كانت تصارع فيه التيار بكل قواها. حلق الاضطراب في الجو، بينما أعلنت الأخت "جوزفين" تأهبها وبدأت تصلي بصوت مرتفع.

صاح الرجل الذي أتى إلى نجدتهن:

– تشبثي جيدا.

فقالت الفتاة –متمتمة في اللحظة التي انزلق قارب الأخت "جوزفين" فيها من يديها ليتوجه إلى الصخرة ويرتطم بها فيتحطم–:

– هذا سهل قولا فقط.

وانخرطت الراهبة في صلاة حارة متضرعة إلى الله:

– يارب ارحمنا!

أمسكت بقبضة "أمبر" عندما رأت القارب ينقلب.

اندفع الرجل نحو الغرقى، بينما أخذ يصيح إلى "كارولين":

– لا تتحركي، ابقي في مكانك.

أحست الفتاة بأن قواها تخور، ولم تصبح قادرة على مزيد من المقاومة فتركت نفسها للتيار كي يحملها، ثم نجحت في أن تستقر قدماها على الأرض.

أما الرجل فحمل "أمبر" بين ذراعيه، وتبعته الراهبة وقد شمرت ثيابها بما تبقى لديها من قوة أعصاب.

www.alkottob.com

– سوف أخرجك من هناك. عندما تلمس قدمك الأرض تأتين إلى الشاطئ مناسب؟

– لا أستطيع الحركة.

– احتفظي بهدوئك.

عندما وصل المنقذ إليهن انتزع الصبية من داخل القارب آمرا الفتاة بأن تتبعه. رأت الشكل البشري الجذاب يبتعد قبل أن تتمكن من القفز إلى إحدى الصخور، حمت عينيها بإحدى يديها اتقاء لشدة الضوء ونظرت إلى اتجاه النهر.

وفي غضون بضع ثوان كان ذلك الرجل قد عاد إلى جوارها.

– ما الذي أصابكن أنتن الأربعة؟

فقالت الفتاة مصوبة بأدب، بينما اتجهت أنظارها نحو الأفق:

– أربعة عشر. القوارب الخمسة الأخرى من المفترض ألا تتأخر عن الوصول كثيرا الآن.

قال الرجل مزمجرا بدهشة:

– خمسة! لا بأس. لنعد إلى الشاطئ. سوف ألحق بها أثناء مرورها.

لكن "كارولين" رفضت العرض بهزة من رأسها:

– لا. بعضها قادرة على اجتياز هذا المكان دون الحاجة إلينا.

– يا آنسة.. هناك أمر لابد أن يكون قد فاتك. أنت هنا في ملتقى التيارات.

أجابته "كارولين" بهدوء:

– إننا نحاول تعليمهن الثقة بإمكانياتهن وقدراتهن الشخصية. فإذا ما توجهنا لمعاونتهن على وجه السرعة..

وأشارت بأصابعها نحو الأمام:

– ها هو أحدها قد وصل.

فقال الرجل –قبل أن يقفز إلى صخرة أخرى–:

– بحق الله تراجعي إلى الخلف.

استطاعت "كارولين" في تلك اللحظة أن تتأمل تفاصيل ظهره البرنزي المتناسق مع كتفيه العريضتين ونحالة حقويه. بدت ساقاه الطويلتان عضليتين من تحت بنطلونه الرياضي. رأت أنه يتميز بجاذبية نادرة.

فجأة سمعت صوت صدام عال واثنتين من المراهقات تتفوهان بجميع الألفاظ الرديئة التي تحاول راهبات القديسة "كاثرين" جاهدات أن يجعلن الفتيات ينسينها. قالت "كارولين" –محدثة نفسها بينما أسرعت إلى نجدتهن من خلف ذلك الرجل المجهول–:

– ويا خسارة مناهج الاعتماد على النفس التي تلقينها.

عندما ابتسم الرجل نحوها مطمئنا إياها تعثرت "كارولين" في الماء، وأحست بركبتيها ترتعدان ليس بفعل التيارات التي قذفت بساقيها وحدها إذ تطلب الأمر منها مجهودا كبيرا حتى تتمكن من التركيز.

وصلت القوارب الواحد بعد الآخر، وبمساعدة هذا الرجل المجهول، قضت الدقائق العشرين التالية في إخراج الفتيات في ظروف صعبة من شدة التيار، اجتاز القارب الأخير –قارب الأخت "جوان"– منطقة التيارات بلا أدنى صعوبة، لكنها سكنت حيث كانت عندما رأت الجميع على الشاطئ. وبعدما لوحت إليهن بيدها غادرت القارب وعاونت من كن معها على أن يحذون حذوها.

وقف الرجل الغريب الذي أنقذهن جميعا بجوار "كارولين" حيث نطق بلفظ سباب آخر، فأجابته "كارولين" بنبرة جافة:

– من المؤكد أنك تعتقد أن البنين كانوا سيجتازون هذه التجربة بسهولة أكبر.

– كانوا على الأقل سيطلقون صيحات متباينة النبرات.

كبحت الفتاة ابتسامة ثم قالت:

– شكرا لك على مساعدتك. اسمي "كارولين جراي".

www.alkottob.com

- "جيفري جولدويل".

وقدم لها قبضة قوية.

أصابها منظر وجهه باضطراب أفاق انفعالها إزاء جسده، وأثارت ابتساماته فيها إحساسا غير مفهوم بالدفء والأمان معا.. واتقدت عيناه الخضراوان ببريق نادر أخاذ، ما الذي من الممكن أن يأتي بمثل هذا الرجل بهي الطلعة إلى هذا المكان المجهول؟ وإذ تبينت "كارولين" أنها لا تطابق الصورة المثالية للإغراء الأنثوي توجهت نحو الأرض الصلبة.

*****

قامت الأخت "جوزفين" بإحصاء عدد قواربها الراسية على هيئة نصف دائرة في الماء، بينما كانت الأخت "جوان" مشغولة بفحص التلف الذي حدث ببعضها وهي تتمتم قائلة:

- يا إلهي!

كانت هاتان الراهبتان تابعتين لنظام الرهبنة "الإنجليكانية" لطائفة القديسة "كاثرين"، وكانتا فضلا عن ذلك شقيقتي والد "كارولين"، وبذلك كانتا لها العمتين والموجهتين والصديقتين الحميمتين في ذات الوقت.

لزمت البنات الصمت التام لدى وصول "كارولين". ظنت الفتاة في بادئ الأمر أن ذلك مبعثه إحساس بالامتنان نحوها، لكنها سرعان ما تفهمت ما كان يجري.

اتجهت أنظار الجميع بمن فيهن الراهبتان حيث تركزتا على ذلك النموذج الكامل لجنس الرجال الذي كان بجوارها، والذي لم ينقصه ابتلال ملابسه ولا جريان الماء فوق صدره جاذبية وحسنا.

بدأت "كارولين" بالحديث:

- يا بنات.. أقدم لكن السيد "جيفري جولدويل" وباسمنا جميعا قدمت له الشكر على معاونته لنا.. يا سيدي... اسمح لي بأن أقدم لك الأخت "جوزفين" والأخت "جوان" وكذلك عضوات المعسكر الصيفي.

أخذ ينظر مقطب الحاجبين إلى الراهبتين الواحدة تلو الأخرى في زيهما الصيفي ثم إلى الفتيات الاثنتي عشرة اللاتي على الرغم من تباين أطوالهن واختلاف أصولهن إلا أنهن ارتدين جميعا البنطلونات الزرقاء القصيرة والقمصان البيض والجوارب والأحذية الخفيفة مع شملات بيضاء على رؤوسهن مثل حجاب ديني.

التفت بعد ذلك إلى "كارولين"، وكان شعرها الأشقر المتموج قد بدأ يجف مكونا هالة مضيئة فوق كتفيها. كانت في مثل زي تلك الفتيات الصغيرات على الرغم من أن قوامها لم يكن منتميا إلى مرحلة الطفولة مثلهن، بل إلى فتاة في الثامنة عشرة. بدا صدرها ممتلئا في القميص وكشف البنطلون القصير عن قوام ممشوق بينما أبرز الجورب نحافة ساقيها البرنزيتين بفعل التعرض لأشعة الشمس. لكن كانت هناك أيضا بقع النمش الخفيفة فوق أنفها وعينيها الزرقاوين المتمردتين.

قال أخيرا:

- نعم.. وبذلك تكن جميعا قادمات من..

فقالت:

- مزرعة "قوس قزح"، وهي معسكر صيفي على بعد حوالي خمسة كيلو مترات من هنا.

كبحت جميع البنات أنفاسهن لحظة أن مرر يده فوق قفا عنقه؛ فقد كشفت تلك الحركة عن قوة عضلات ذراعه.

ردد متنهدا:

- مزرعة "قوس قزح". كان ينبغي أن أستنتج ذلك. لو تفضلتن

www.alkottob.com

بالسماح لي فأذهب وأستبدل ثيابي ثم أعود على الفور.

رأته "كارولين" يسير على الطريق حتى بلغ الكوخ الخشبي القابع عند سفح التل.. بذلك يكون "جيفري جولدويل" قد اشترى كوخ "رائبون" العجوز! وبعد أن استنتجت ذلك كادت أن تنفجر ضاحكة. فلم يكن على وجه الأرض كلها شخصان أكثر اختلافا من ذلك العجوز "سيث رائبون" العدو الأول لطائفة القديسة "كاثرين"، وهذا الرجل غير المعروف لهن بعد. فلو كان "رائبون" هو الموجود بالمكان أثناء تلك الظروف لتركهن يغرقن جميعا.

ما إن أغلق الباب على ذلك الشاب الذي أنقذهن، حتى جلست ثلاث من الفتيات فوق العشب وهن يقسمن بأنهن في الفردوس. وزعمت أخريات بأنه لا يختلف كثيرا عن "كاري جرانت". أما "لوسي" فأخذت تشتم المواضع التي كانت يداه قد لمستاها فيها. وتبينت "أمبر" أن "كارولين" والراهبتين قد حلن دون محاولتها إغواء الرجل المهذب الوحيد الذي وقعت عيناها عليه منذ بضعة أسابيع.

اقتربت الأخت "جوان" من "كارولين" كي تخبرها بنتائج المعاينة التي كانت قد أجرتها.

– اثنان من القوارب تحطما إلى حد كبير وتبقت لدينا ثلاث سلال غذاء فقط، وبعض الملابس المبتلة، وحقيبة الإسعافات. أهم ما في الأمر أننا نجونا جميعا ولم تحدث لنا أية إصابات.

تبادلت الفتاة الحديث في هذا الموضوع مع الأخت "جوزفين" بينما كانت البنات ينعين حظهن، صمتن تماما لحظة أن عاد "جيفري جولدويل" مرتديا بنطلونا ضيقا من "الجينز" وقميصا مفتوحا. وقد أثارت ابتسامته قدرا من الاضطراب لدى اقترابه من المجموعة الصغيرة. قالت "أمبر" مقترحة:

– لماذا لا نطلب من "جيفري" أن يساعدنا؟

ولقي هذا الاقتراح موافقة جماعية من زميلاتها.

عضت "كارولين" شفتها قبل أن تجيب:

– لا. لن نطلب من السيد "جولدويل" شيئا.

وواجه قرارها هذا سيل من الاعتراضات من هنا وهناك، لم لا؟ ولماذا لا نطلب منه؟ وهكذا، وفجأة دوى صوت ذو حدة غريبة من خلفها:

– هل يمكن معرفة مبرراتك؟

عندما نظرت إلى "جيفري" لاحظت عمق خضرة عينيه والأهداب السوداء المحيطة بهما. اضطرت إلى أن تحرر حنجرتها قبل أن تجيبه:

– لأننا عقدنا معاهدة هذا الصباح.. أليس كذلك يا بنات؟

فأجابت "أمبر" بقولها:

– هذا انتصار لك.

عقد "جيفري" ذراعيه لامسا مرفق الفتاة وقد لاح في عينيه شعاع مكر، توترت "كارولين" على الفور وابتعدت عنه قليلا قبل أن تجيبه بقولها:

– ليس أمامنا سوى خمسة كيلو مترات نقطعها عودة إلى المعسكر. إننا بحاجة إلى الطعام، لكن الماء متوفر لدينا بكثرة. وسوف نقيم وليمة كبيرة في المساء، ويمكننا عندئذ أن نشعر بالفخر بأنفسنا.

واعترضت البنات بصوت واحد.

اتكأ "جيفري" بيده على إحدى ساقيه حيث حنى رأسه في اتجاه "كارولين" التي حدثت نفسها بأنه لم يبق سوى أن ينضم إلى البنات.

أرادت أن تلحق بالراهبتين، لكن ألما مبرحا ألم بساقها اليسرى سرعان ما هدد بأن يطرحها أرضا. فما إن أمسكت بركبتها بين يديها حتى طوق "جيفري جولدويل" خصرها ثم أجلسها فوق العشب برقة تلقائية.

– أريني هذه.

www.alkottob.com

عضت "كارولين" لسانها عندما أبعد أصابعها ليكشف عن ثورم كبير في مثل حجم بيضة الدجاج بقصبة ساقها اليسرى.

أطلق "جيفري" صفيرا مومئا برأسه.

– كيف تفكرين في السير وأنت على هذه الحال يا آنسة "كارولين جراي"؟

– سوف أتمكن من ذلك.

فقال متهكما بمزاج آثار ابتهاج الجميع:

– أريد أن أرى.

– أراك تسيء إلى سلطتي.

أجابها بهز كتفيه، اتجه نظر الفتاة إلى المراهقات المنحنيات فوقها، ثم إلى ذلك الجسد الجميل الجالس القرفصاء بجوارها. تحولت نظرتها بعد ذلك إلي النهر من خلفهما. رأت بعد ذلك الراهبتين تطوفان حول الزوارق التي أصابها العطب.

انحنت نحو الأرض وانفجرت ضاحكة، فقال "جيفري" معلقا على سند من سابق خبراته:

– إنها الصدمة.

عادت "كارولين" إلى الواقع عندما ضربت الاخت "جوزفين" يديها فاعتدلت.

قالت الراهبة برزانة:

– يا سيد "جولدويل".. الاخت "جوان" وأنا سوف نقدر لك مزيدا من مساعدتك إيانا.. لو لم يكن في ذلك إثقال على كرم أخلاقك.

وإذ سمعت الفتاة ذلك ظلت جالسة فاغرة فاها، لأنها لم تكن قد رأتهما قط على مدى طول تلك السنوات تطلبان المعاونة من أي إنسان. إذ كان المبدأ الأساسي لرسالتهما هو تعليم أولئك المراهقات اللاتي على شفا الجنوح والانحراف كيف يصبحن مسؤولات عن

حياتهن؟ ألم تكن "كارولين" تجسيدا كاملا لنجاحهما؟ لماذا هذا التحول المفاجئ إذن؟

حاول "جيفري جولدويل" ألا يبدو راضيا. قال بنبرة كبرياء:

– بكل تأكيد. ما الذي تأمرينني بأن أفعله؟

– لاحظنا أنك تمتلك شاحنة لن تستغرق منك إعادتنا بالسيارة إلى المعسكر أكثر من عشر دقائق. ثم وإذا لم يكن لديك اعتراض تعود إلى هنا حيث تأخذ "كارولين" وتصحبها إلى المستشفى. ثم يمكننا أن نستأنف النظر في أمورنا فيما بعد.

ووافق "جيفري" دونما أدنى تردد:

– هذا مناسب لي جدا.

ثم وجه إلى الفتاة ابتسامة ساحرة جعلتها ترتبك. كانت تفضل التعامل مع ذلك العجوز "رائبون" بدلا من هذا الشاب الذي يسبب لها اضطرابا دائما.

انتزع فرع عشب ووضعه بين أسنانه ناصعة البياض. ثم سألها:

– ما رأيك في ذلك يا "كارولين"؟

فقالت بهدوء تام –علما بأنه لا خيار لها في الأمر–:

– عظيم.

فغمز لها بإحدى عينيه قائلا:

– هائل! سأعود إليك بعد عشرين دقيقة.

جثت الأخت "جوزفين" بجوارها قائلة:

– حاولي بكل جدية أن تبدي مهذبة.

– لماذا؟

فابتسمت الراهبة إلى ابنة شقيقها قائلة:

– توفي السيد "رائبون" في الشتاء الماضي، واعتقادنا أن السيد "جولدويل" سيثبت أنه جار أفضل. لهذا لا أرى مانعا من أن نوحي إليه بأننا بحاجة إليه وهذا صحيح، لكن ليس إلى الحد الذي

www.alkottob.com

يتصوره.

ثم ضحكت، لافتقار كلامها المتعمد إلى التحديد قبل أن تستطرد قائلة:

– كان السيد "راثبون" على علم بأنه يمكننا المرور من أرضه وأرغمنا على أن نتحمل المقابل على مدى سبعة وعشرين عاما. لهذا السبب نعتزم تغيير المفهوم في هذه المرة.

– لكنني لا أرى هناك أي فرق إذا..

نادى الرجل المعني في تلك اللحظة الأخت "جوزفين". فقالت الراهبة –محدثة "كارولين" بينما كانت تجمع أطراف ثوبها من حولها–:

– كل شيء بأوانه يا "كارولين".

وعندما رأت "چيفري" يعاون عمتها على الجلوس، رأت أنهن لم تفقدن شيئا بالمقارنة.

"كل شيء في أوانه يا "كارولين".." تأملت هذه العبارة مستلقية على ظهرها؛ لتستمتع برؤية قمم الأشجار المتراقصة في زرقة السماء. ما الذي كانت عمتاها تخططان له بهدوء؟

الفصل الثاني

حاولت "كارولين" على مدى الدقائق العشرين التي ظلتها بمفردها أن تتخيل الفكرة التي كان من الممكن لـ"چيفري" أن يكونها عنها. من المؤكد أنه لن يمكنه أن يتخيل أنها تعمل مستشارة إدارية لمكتب توظيف "ماچان" بـ"واشنطن"، وتتحدث سبع لغات بطلاقة تامة تقريبا. خاصة وأنه قد رآها في ذلك الزي وبصحبة عدد من البنات المنحرفات وتحت إشراف راهبتين.

كانت مدينة لعمتيها بما هو أكثر بكثير من ذلك الشهر الذي تكرسه لهما كل عام، والذي يمثل عطلتها السنوية من العمل وتقوم خلاله بما يزيد عن عمل مدرس بالمنشأة التي ترأسها الراهبتان. فهي على علم تام بأسباب وجودها في هذا المكان في هذا الوقت.. لكن هل سيكون "چيفري" على استعداد لأن يتفهم موقفها هذا؟

لا بكل تأكيد! سوف يظنها.. يظنها.. ماذا؟ من المؤكد أنه لن يظنها فتاة أعمال نابهة. لكن ما أهمية كل ذلك؟ فعلى أقل تقدير تلك الفتاة "كارولين جراي" التي قفزت من القارب إذعانا لرغبة اندفاعية أقرب إلى حقيقة طبيعتها من تلك الفتاة التي أعجب "پيتر ماچان" بكفاءتها الذهنية والعملية. ومع ذلك وعلى الرغم من كل هذه الاعتبارات لن يرى "چيفري" ما هو أبعد من طرف أنفه. لماذا إذن كل هذا الاهتمام بما عساه أن يفهمها عليه؟

– آنسة "جراي"؟

نهضت بمرفقيها لسماع تلك النبرة الحادة التي شابت صوته. كان "چيفري" واقفا بجوارها بقامته الطويلة وجاذبيته، لكن ما الذي حدا به لأن يناديها بالآنسة "جراي"؟ أوجبت نفسها أن تبقى أعصابها هادئة. ومع ذلك كان شيء ما قد تغير، ولم يبد الرجل الواقف في مواجهتها شبيها بذلك الشاب الذي كانت قد التقت به منذ بضع

www.alkottob.com

ساعات سابقة.

أجابته بنفس أسلوبه الرسمي:

– نعم؟

سعل كي يحرر حلقه لأن فكرة أن تصبح تلك الفتاة الفاتنة –التي كان قد تركها فوق العشب– راهبة في المستقبل أثرت فيه إلى حد كبير. رأى فيها فتاة أخرى من طائفة "سانت كاثرين"، تضحي بنفسها كي تعيد المنحرفات الصغيرات إلى طريق الاستقامة ألم يحذره جده من ذلك؟

كان "سيث راثبون" العجوز قد كتب في وصيته: عند وفاتي سيؤول هذا المنزل إليك. سوف يفيدك إذا ما أردت أن تغادر "كاليفورنيا" بين الحين والحين. لكن اتبع نصيحتي وتمسك بالابتعاد عن الراهبات؛ لأنك إذا أصبحت صديقا لهن لن يمكنك قط التخلص من أولئك المنحرفات الصغيرات، والسبيل الوحيد لتحاشي مثل هذا الوضع هو أن تتصرف كوغد جبان.

رأى "جيفري" أن راهبتي مزرعة "قوس قزح" قد أضفتا مذاقا ومعنى على حياة الوحدة التي عاشها جده، لكنه تساءل –بينما كان ينظر إلى "كارولين"– لماذا لم تقدم الأختان "جوان" و"جوزفين" منذ ثلاثين عاما مضت نفس الإغراء لرجل عاش وحيدا؟

لم ترق له فكرة أن تظل تلك النموجات الشقراء الساحرة مختفية تحت هذا الحجاب.. هذا فضلا عن الساقين الجميلتين والقوام الممشوق.

لم ير جدوى من أن يظل على تلك الحال من تعذيب الذات وبما أن هذه الفتاة قد قررت الانتظام في سلك الرهبنة فليس عليه أكثر من أن يحترم رغبتها. لكن أية راهبة يكون اسمها "كارولين"؟

كان قد قبل دعوة الراهبتين إياه إلى الغداء في اليوم التالي، لكنه سوف يلتزم بعد ذلك بنصائح جده. رمق "كارولين" بابتسامة مهذبة

قائلا:

– رهن إشارتك يا آنستي.

"آنستي"! لا يوحي زيها المبتل وشعرها المشعث بالتأكيد بأحقيتها في أن يخاطبها بهذا اللقب. فوفقا لرأي أصدقائها أن ارتداءها "التايورات" الرمادية (أي الأزياء الرسمية في مجال العمل) لا يستطيع أن يغير من شخصيتها المرحة المفعمة بالحيوية والحماس. حتى "بيتر ما جان" اعتاد أن يناديها باسمها الأول مجردا رغم علمه أكثر من أي إنسان آخر بما تخفيه من خلف هاتين العينين الزرقاوين ولمسات النمش الساحرة. كانت دائما ما تود أن تتعامل بقدر من التحفظ مع الآخرين لكنها كانت تخفق في ذلك على طول الخط. وواقع الأمر أنه بينما عاونها أسلوبها على سهولة الاتصال بالآخرين في مجال عملها، ففي حياتها العاطفية كان الرجال ميالين إلى أن يسروا إليها بتجاربهم العاطفية الفاشلة.

سعت "كارولين" إلى إخفاء اضطرابها، فقد كان لـ"جيفري" كل مبررات العالم لأن يناديها باسمها الأول مجردا، ومع ذلك وجدته متمسكا باستعمال لقب آنستي كلما خاطبها.

بحثت عن مكان تستقر فيه نظراتها: فقد بدا أنفه وكأنه منحوت بيد فنان قدير، وعظام وجنتيه مرتفعة، وفمه مرحبا بالقبلات داعيا إليها. ولم يكن ذلك كل شيء فعيناه وساقاه وصدره.. كل ذلك ذكرها بالمشهد الذي كانت قد رأته وسط تيارات الماء.. برنزي البشرة يقطر ماء..

عندما رأته مقطبا حاجبيه تساءلت هل كانت قد أساءت السلوك؟ فقد بدا هذا الرجل –مثل "سيث راثبون"– بلا شفقة تجاه المنحرفات الصغيرات.. أو الراهبات. فإذا كان ذلك هو الحال فلا أقل من أن تتوخى التعقل؛ لأنها كانت قد تعرضت –ولأكثر من مرة– إلى مواقف عدائية من ذلك الوغد العجوز أثناء دراستها بدير طائفة

www.alkottob.com

القديسة "كاثرين". قالت:

– ليست بك حاجة إلي أن تصحبني إلى المستشفى. كل ما بي لا يعدو أن يكون كدمة زرقاء.

أحس "چيفري" بأنها كانت تحدثه بصوت هادئ أشبه بصوت قديسة. أجابها –بنبرة جافة لكنه ما لبث أن عاد إلى طبيعته وابتسم:

– سوف أشعر بالمسؤولية إذا ما أصابك ضرر لاحق. هيا بنا نجري تلك الأشعة؛ حتى نطمئن على سلامة ساقك. موافقة يا آنستي؟

– نعم يا سيدي.

قال محدثا نفسه في صمت: "تقديري في موضعه. سوف ترتدي زي الرهبنة عما قريب، ثم تمنى لو أنه لم يتلفظ بتلك الكلمات غير اللائقة في وجودها. الأخت "كارولين".. ولم لا؟ وما الذي يعرفه عن الراهبات"؟

قال مصححا:

– "چيفري".

فقالت الفتاة مؤكدة:

– حسنا.. لكنك خاطبتني باسم "كارولين" منذ عشرين دقيقة فقط. لهذا السبب سوف يكون من دواعي سروري أن أستخدم اسمك الأول لو أنك وافقت على أن تستخدم اسمي الأول.

– نعم.. بكل تأكيد...

توقف قليلا بدافع من اضطرابه. نادرا ما كان يجد نفسه في وضع الاستجواب، كما أنه لم يفتقر إلى الكلام والحجج قط قبل الآن.

– ليس لاسم "كارولين" علاقة بالأسماء الدينية.. على حد اعتقادي.

انفجرت الفتاة ضاحكة:

– كانت والدتي صاحبة الرأي الأخير. وجدت أن بالأسرة عددا كبيرا من الأسماء من أمثال "چوان" و"آن". أما أنا فكنت أتمنى أن

يكون لي اسم أحدث مثل "سيبيل" أو "هيدر".

– ألا يطلقون على الراهبات أسماء معينة؟

– لا أعلم عن هذا الموضوع شيئا في الحقيقة. عندما أتحدث إلى عمتي الأخت "چوزفين"..

– عمتك؟

رمقته بابتسامة استحياء:

– نعم. وكذلك الأخت "چوان". لكنني أنا أنتمي إلى عموم الجنس البشري. ما أريد قوله هو: إن الراهبات أيضا لهن صفاتهن التي يتميزن بها، ولهن أيضا أخطاؤهن مثل سائر الناس ولكن..

ثم توقفت رافعة كتفيها وهي تتساءل في صمت: لماذا أتحدث عن عائلتي؟ فقد تسببت سلسلة نسبها العائلي في فرار أكثر من رجل عن حياتها. لكنه لم يصبح من الممكن لها أن تتراجع عن أقوالها أو أن تنكرها.

قال "چيفري" متعجبا:

– هذا صحيح!

تمنت الفتاة أنها كانت تفضل أن تسمعه يقول: "الجحيم والهلاك" ولاحت بخاطرها رغبة في أن تطلب منه أن يبقى على طبيعته، لكنها لم تقل شيئا. ففي أكثر أحلامها رومانسية لا ينبغي على من يختاره قلبها أن يغير موقفه منها إذا ما علم أنها ابنة شقيق راهبتين، وابنة رجل دين مسؤول، كما أنها فيما سبق إحدى المنحرفات اللاتي كانت هذه الدار ترعاهن. فقد علمتها الحياة أنه ليس من السهل التجرد من الأسرة ولا من الماضي.

من المؤكد أن "چيفري" قد لاحظ لمسات النمش، وأنه قد كون فكرة غامضة عن طبيعتها المندفعة لكنه كان قد التزم بأسلوب غريب قبل أن تتحدث عن عمتيها. فهل رأى في الأمر معنى معينا؟

أخذت "كارولين" اليد التي بسطها نحوها، ووجدت نفسها واقفة

www.alkottob.com

قبل أن تتاح لها فرصة للتفكير أو التفهم.. وثبت لها أن "چيفري جولدويل" كان أقوى مما بدا عليه.

طال لمس يده ليدها. حدث نفسه في صمت: لا ينبغي أن أفعل هذا لكن هذه الفتاة..

التقت عيناها الزرقاوان الواسعتان بنظرته، وانفرج فمها عن ابتسامة أثارت فيه رغبة في أن يمر على حدوده بطرف لسانه، طرد هذه الفكرة من ذهنه على الفور.

قال بنبرة شهامة:

- ضعي ذراعك حول عنقي.

وأطاعت "كارولين" الأمر متنهدة. وكان ملمس جلده أكثر نعومة وأكثر صلابة مما تصورته. وحتى يمكنها أن ترفع ساقها المصابة وضعت يدها الأخرى على كتفه مستمتعة بملمس عضلاته من تحت نسيج قميصه القطني. وبعدما طوق خصرها لم يترك لها بديلا عن أن تستند إليه. سألها:

- تشعرين بآلام؟

- لا. إطلاقا.

وجدت نفسها مضطرة إلى أن تصارع؛ حتى تتمكن من التركيز على كم الأوراق التي كان من المقرر أن تقوم بتصحيحها في مساء ذلك اليوم لدى عودتها. وكان من الصعب عليها أن تتجاهل وجود هذا الرجل الذي كان يضمها إليه ويتنفس صحة ورجولة.

فلم يكن قد سبق لها أن التقت برجل مثل "چيفري جولدويل" الذي أوحى لها بقدرته على أن يجعلها تنصهر أمام أدنى نظرة يرمقها بها من خلف أهدابه السوداء، تنبهت حواس الفتاة لملامسته. تبينت وجود شعيرات دموية دقيقة عند زاوية عينيه وثلاث خصل رمادية بشعره الكستنائي القاتم، واستنشقت عبيره العطري، أثار تجاوب بدائي من جانبها خوفا شديدا في أعماقها، وعبثا حاولت

السيطرة على ذاتها. إذا كان في "چيفري" شيء ما يوجب عليها تجاوبا معينا.

سارا على المنحنى الوعر بمزيد من الحذر. وبدأت ساق "كارولين" السليمة تؤلمها؛ بسبب إلقائها بكل وزنها عليها حتى رأت أنه ربما كان من الأفضل أن تقطع تلك المسافة سيرا على أطرافها الأربعة، بينما أحكم "چيفري" قبضته على خصرها.

ما الذي أصابها؟ لم تصبح قادرة على الاحتفاظ بهدوئها! هل الصعوبات التي واجهتها في طفولتها لم تعلمها أن تتصرف كشخص مسؤول وأن تتحكم في طبيعتها الاندفاعية؟ ينبغي أن يتجه تفكيرها إلى شيء آخر.. سألته:

- هل وصل الجميع بسلام؟

- نعم. ظاهريا على الأقل. أبدت "أمبر" رغبة في أن تأتي معنا إلى المستشفى بدعوى أنها أكثر معاناة منك. لكن الأخت "چوان" لم تصدقها.

قالت "كارولين" محدثة نفسها -على ضوء خبرتها التامة بميول الفتيات في مثل هذه السن-: إنها بحاجة إلى مزيد من الوقت حتى تتفهم ما تعنية المسؤولية عن تصرفاتها، ورأت أن هذا التعليق ينبغي أن يفيدها حتى يعصمها من الحماقة؛ لأن حلقها كان محتقنا وكانت يداها مرتعشتين لأنه كيف كان يمكنها أن تأمر جسدها بأن يظل كقطعة من الرخام؟

استطردت قائلة:

- أرجو ألا تكون قد شعرت بأنهن يعتبرنك مخلوقا غريبا.

وعلى غير المتوقع انفجر "چيفري" ضاحكا.

- أعرف رجالا كثيرين يتباهون بأنهم محط الأنظار الأنثوية.

- وأنت.. لست واحدا منهم؟

- لا.. في الواقع خاصة من جانب... باختصار شديد لا أهمية

www.alkottob.com

لذلك.

فقالت الفتاة -بنفس النبرة الرزينة الجامدة التي كانت عمتاها تلجآن إليها كلما أرادتا انتزاع الحقيقة من شخص ما-:

- خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمذنبات قاصرات في سن الثانية عشرة؟

- محتمل جدا.

فقالت "كارولين" -مقتنعة تماما بأنها قد لمست في صوته نبرة رفض للمقيمات بمزرعة "قوس قزح"-:

- بل أمر مؤكد.

- منذ متى وأنت معهن؟

- منذ الأول من شهر أغسطس.

- يمكن إذن اعتبارك مستجدة؟

- إلى حد ما.

بغض النظر عن أنها سوف تصبح راهبة أو غير ذلك، رأى أنها فاتنة جدا بل وأكثر سحرا من مخلوقات الأحلام اللاتي يتعامل معهن في "هوليوود". فبصفته وكيلا فنيا متداخلا في هذا العالم الذي تحكمه المظاهر، كثيرا ما تتاح له الفرص وتهيأ أمامه المغامرات، لكنه نادرا ما يتحينها خاصة في تلك الآونة الأخيرة.

كان ميراثه لأملاك جده قد هيأ له مبررا مقنعا لكي يتخذ له من "بيركشير" ملاذا، لكن ذلك كان يخفي أمورا أخرى، فعلى مدى الأشهر الأخيرة الماضية لم يفلح المال ولا الجاه في أن يبعث في نفسه الرضا الكافي. فهو يحب مهنته، لكنه أحس بحاجة إلى أن يتوقف عن العمل بعض الوقت؛ بهدف التعرف إلى ذلك الشيء الذي ينقصه إلى حد القسوة.

عرف -في تلك اللحظة مع هذه الفتاة ذات العينين الزرقاوين الواسعتين وبقع النمش- إحساسا غريبا بالهدوء والسكينة. لم يكن

لها أي قدر من ذلك الجمال الصارخ الذي تمتع به العدد الأكبر من النساء اللاتي عرفهن، لكن جسدها الصغير جذبه إليه كلية. ربما كان ذلك راجعا إلى ما كان يشعه هذا الكيان من حيوية وشجاعة على النقيض من تلك المخلوقات المغرورة الجوفاء. رأى أنه حتى لو أرادت "كارولين" أن تتغير فلن يمكنها أن تكون مختلفة عن ذاتها.

وإذ تذكر أنها بسبيلها إلى أن تصبح راهبة ضبط نفسه؛ حتى لا يثقل عليه بأن يتركها تخمن مدى إعجابه بها. عندما وصلا إلى الشاحنة أرخى قبضته عليها رغما عنه.

وتنهدت "كارولين" عندما عاونها على الصعود إلى المقعد المجاور له. تبينت في اضطرابها أنها كانت تفضل أن تكون بصحبة "جيفري جولدويل" الذي كان يصيح قائلا: "الجحيم والهلاك"! عندما رأته لأول مرة عند شاطئ النهر بدلا من هذا الرجل المؤدب الذي كاد أن يكون مثاليا.

ظلا صامتين لحظة ثم سألها:

- ماذا تفعلين بمزرعة "قوس قزح"؟

- أقوم بعمل المدرس.

- وماذا تدرسين؟

- اللاتينية واليونانية.

تيبست أصابعه فوق عجلة القيادة، بينما استطردت الفتاة تقول:

- أجد متعة في ذلك. رغم أنه من المؤكد أن العدد الأكبر من البنات لا يحبين ذلك، ومع ذلك يقضي مبدأ الضبط والربط الذاتي بأن إتقان إحدى اللغات دائما ما يكون ذا فائدة كبيرة لهن.

قال "جيفري" -معلقا بصوت ينم عن شرود الذهن حيث كان قد قرر ألا يكشف لها عن رأي جده في هذا الموضوع-:

- أعتقد أن المراهقات من هذه النوعية بحاجة إلى من يرغمهن على احترام النظام والقوانين.

www.alkottob.com

فأسرعت "كارولين" تقول:

– ما الذي تعنيه بقولك "المراهقات من هذه النوعية"؟

– أعني المنحرفات الصغيرات.. أليس كذلك؟

– وماذا أيضا؟

– إنهن قد فقدن براءة هذه السن المبكرة.

– ربما لهذا السبب هن بحاجة إلى مزيد من العناية ومن الحب أكثر من غيرهن.

هز "چيفري" رأسه معترضا عندما تذكر "أمبر".

– صفعة جيدة لم تضر أحدا من قبل.

قالت "كارولين" متمتمة -بينما عقدت ذراعيها فوق صدرها غضبا:

– "سيث راثبون" آخر.

وحدث "چيفري" نفسه في صمت: لقد فزت علي، ومع ذلك لم يمكنه التوصل إلى اعتبار تلك البنات ملائكة. قال:

– أعتذر لك. لحسن الحظ أنني لم أعاملهن معاملة المجرمين.

وجهت الفتاة نظرها إلى الأمام. فعلى مدى ستة عشر عاما لم تكن سوى مجرمة صغيرة مثلهن. لكنها لم تخجل من ماضيها. لماذا إذن تعطي مثل هذه الأهمية لرأي "چيفري"؟

وإذ عرف هو خطأه نظر إليها. شيء ما فيها أثار بداخله رغبة في أن يحتفظ بها بين ذراعيه إلى الأبد.. وأن يكشف لها عما بقرارة نفسه، وأن يصغي إليها وهي تكشف له عن أسرارها. قال بصوت خافت رقيق:

– لحسن الحظ أن هناك أناسا مثلك ومثل عمتيك ممن يحاولن مساعدتهن.

– لكنك لا تحبذ فكرة أن نكون جيرانا لك.

– حسنا..

ورفع كتفيه مضطربا:

– يا آنستي.. لا تضطريني إلى أن أقول ما لم أقله، وإنني على ثقة بأننا سوف نتوصل إلى نتيجة وهي أن نتلافى أية احتكاكات فيما بيننا أثناء فترات إقامتي هنا.

أعادت الإشارات التي صاحبت حديثه إلى "كارولين" مزاجها الحسن.

– لا أشك في ذلك إطلاقا. لكننا سنواجه صعوبة في إقناع البنات به. هل تقضي هنا عطلة؟

– نعم. أول عطلة منذ ثلاث سنوات.

– وما هو عملك في هذه الحياة؟

– أمثل بعض الممثلين. فأنا وكيلهم.

– في "نيويورك"؟

– لا.. في "هوليوود".

– تعرف "بيركشير" إذن؟

– نعم. منذ طفولتي.

كان مصمما تماما على ألا يكشف عن درجة قرابته لـ"سيث راثبون" في تلك اللحظة التي نجح فيها في صرف غضب الفتاة.

– لم تكن تتوقع بالتأكيد أن يتصادم سبعة زوارق في النيار تحت نوافذ كوخك.

لو كان قد أعار وصية جده أي انتباه على مدى كل هذه الأسابيع لكان قد توقع ذلك.

– لا بالتأكيد.

– إنني أعتذر لك عن هذا الإزعاج. هل تقيم هنا بمفردك؟

– نعم.

لم ترق له فكرة أن يقضي الأسبوع المقبل بمفرده أكثر من ذي قبل. رمقته "كارولين" بابتسامة دافئة جعلت قلبه يخفق بشدة. لم يتوصل

www.alkottob.com

إلى فهم كيف أن شابا لعوبا من "هوليوود" مثله -كما يطلقون عليه- يشعر بجاذبية نحو هذه المرأة الروحانية الصادقة. قالت:

- أكرر لك اعتذاري إذن وأعدك بأننا سنحاول في المستقبل أن نحترم خصوصيتك وهدوءك.

عندما رأى المكر متقدا في عينيها كاد أن يفقد السيطرة على عجلة القيادة.

كان واضحا له أن "كارولين" لم تكن على علم بأن الراهبتين قد دعتاه لتناول الغداء.

حتى لو كان جده العجوز يعاني عدم الارتياح بداخل قبره، فإن "كارولين جراي" جذبته بشدة إليها كما لم تفعل أية امرأة به منذ زمن بعيد، وربما طوال حياته.

الفصل الثالث

استعادت "كارولين" لدى وصولهما إلى المستشفى سيطرتها على أعصابها، وانخفضت سرعة خفقان قلبها. أخذت تستعيد معلوماتها عن "چيفري جولدويل" فهو يعيش في "هوليود" ومتحامل جدا على البنات المراهقات المقيمات بمزرعة "قوس قزح"؛ وسيكون بالتالي غير راض عنها ولا عن ماضيها فمن المؤكد أن فتاة تزيف التذاكر الطبية من أجل الحصول علي عقاقير مخدرة ليست من النوعية التي تناسبه أو تستهويه. وهذا الاعتبار هو ما ينبغي أن يعينها على مقاومته.

لكن عندما طوقت ذراعاه خصرها ليساعدها على الوصول إلى قسم الطوارئ بالمستشفى اقشعر جسدها، فبينما بهرتها قوته وعضلات جسده بدا قبضه عليها حياديا غير متسم بالخصوصية. وعندما التقت عيونهما رمقها بأسلوب غريب فقالت متمتمة:

- يا للخسارة!

*****

ظنت "كارولين" أن "چيفري" سوف يجلس في أحد الأركان البعيدة عنها، لكنه ظل بجوارها بينما أجرت إحدى الممرضات التحريات اللازمة عن ظروف الحادث.

- هل لك اشتراك في نظام التأمين الصحي؟

- نعم. لكن بطاقة الاشتراك ليست معي الآن. اشتراكي في هذا التأمين تم من خلال صاحب العمل وهو مكتب الاستشارات التابع لمؤسسة "ماچان".

صاح "چيفري" على الفور:

- ماذا؟

www.alkottob.com

رأت "كارولين" الدهشة واضحة على وجهه مصحوبة بشيء آخر في عينيه كان أشبه بشعاع ضوئي يصعب فهم معناه.

لم تفهم الفتاة ما عساها أن تكون قد قالته أو فعلته حتى تثير فيه مثل هذا الانفعال. تذكرت فجأة أنها لم تحدثه سوى عن نشاطها كمدرسة للمنحرفات الصغيرات. من غير الممكن أن يهتم وكيل فناني "هوليود" بمدرسة لغة لاتينية ولا بمستشارة تعمل لدى "ماجان".. لكنها وجدت نفسها مرة أخرى أمام ذلك الرجل الذي كان قد قفز إلى الماء: وكان نحيلا مغويا شرها.

اقترحت الممرضة عليهما الجلوس في انتظار وصول الطبيب. فأسندها "چيفري" بأن طوق خصرها بذراعه حتى يحملها إلى مقعدها وهناك همس في أذنها متسائلا:

– لماذا لم تخبريني بأنك لست راهبة؟

نظرت إليه دهشة:

– أنا؟

– نعم أنت.. من غيرك؟

– لا أدري ولكن..

وحال وصول إحدى المساعدات ومعها مقعد متحرك دون إجابتها إياه. أملت أن تساعدها بضع الدقائق التي سوف تقضيها بعيدا عن "چيفري" على استعادة هدوء أعصابها، لكنه تبعها إلي داخل قاعة الفحص ولم يفكر أحد في التساؤل عن سبب وجوده هناك.

*****

غادرا المستشفى بعد ساعة من الزمان بعدما اطمأنا إلى عدم وجود أية كسور بالساق ولكن أوصى الطبيب بضرورة الاستعانة بعكاز أثناء السير لمدة بضعة أيام قادمة.

رمقها "چيفري" بنظرة، بينما انطلقت الشاحنة بهما فوق سلسلة من المنحنيات الوعرة. اختفى من عينيه كل أثر للحماس لتحل محله تعبيرات تصميم وجدتها الفتاة كئيبة جدا. قال لها:

– مزيد من القوارب في التيارات المائية.

فأجابته –متجاهلة نبرة صوته المتسلطة–:

– إنني مقتنعة بقدرتي على التغلب عليها. تسلق الجبل يسبب لي متاعب أكبر، لكنني وعدت البنات بأن...

– لن تقومي بأي تسلق.

– لكن ينبغي أن أفي لهن بوعدي.

– هل تتصورين أنه يمكنك القفز بالاستعانة بالعكاز؟

بينما كانت لاتزال بقسم الأشعة قام "چيفري" بشراء عكاز من خشب "الأبنوس" ذي قبضة فضية ادعى أنه قد اشتراه من عجوز تصادف مروره هناك.

استطرد "چيفري" يقول:

– "كارولين" أعلم أنك لست مصابة بمرض وهمي، لكنني لا أحب أن آتي لأحملك من فوق قمة أحد الجبال.

فأجابته الفتاة –بينما أبعدت يده عن عجلة القيادة حتى تنظر إلى ساعة يده–:

– "چيفري جولدويل".. بما أنك لا تعرفني إلا من ساعتين وخمس وأربعين دقيقة فقط أفهمني كيف يمكنك أن تعرف أنني لا أتصنع؟

أجابها على الفور:

– من عينيك.

فتنهدت قائلة:

– عيناي مرة أخرى.

وبدا راضيا.

– حسنا.. توافقين على عدم السير لعدة أيام؟

www.alkottob.com

– إنني خائفة من أن أسير.

فرمقها بابتسامة مغوية ثم قال:

– أحب هذا جدا. لكن ما هو الإنجاز الذي حققته تلميذاتك حتى تحق لهن نزهة بالزوارق؟

– لا شيء على الإطلاق. كانت مجرد رحلة قصيرة، وادعت بعض هؤلاء الفتيات أنهن قد مارسن هذه الرياضة من قبل. واتضح لي في نهاية الأمر أن الأخت "چوان" فقط هي من كانت على علم بما كانت تفعله.

– ولا أنت؟

– أنا؟ يا إلهي! لم تطأ قدمي قاربا منذ عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة على الأقل.

أومأ "چيفري" برأسه. كيف فاتته ملاحظة تعبيرات المكر الذي نطقت به عيناها؟ لقد سلبت هذه الفتاة لبه إلى أبعد الحدود حتى عندما ظن أنه لا يمكن الوصول إليها.

– أعتقد أن البنات قد كذبن علي في ذلك.

فقال:

– ماذا كنت تتوقعين غير ذلك من مثل هذه المخلوقات المنحلات؟

رمقته الفتاة بنظرة حادة؛ لأنها اعتقدت على مدى لحظة من الزمن أنها ما تسمع إلا "راثبون" يتحدث، لكن ذلك الوغد لم تكن له مثل هاتين العينين الجميلتين ولا مثل هذا الجسد البرنزي الجميل الذي سوف تظل ذكراه تلاحقها نهارا وليلا على مدى أسابيع عديدة قادمة.

قالت بنبرة مجردة جافة:

– لا تحب هؤلاء البنات.

فرفع "چيفري" كتفيه قائلا:

– ينبغي أن أقر بأنني لم أسمع عنهن الكثير من الأخبار الطيبة.

انخفضت سرعة الشاحنة فانتابها إحساس غريب بأن الزمن قد

توقف. ولم يكن على ذلك الطريق سوى وجود ذلك الرجل. كان يمكنهما بكل بساطة أن يتنزها معا على صهوة جواد أو فوق دراجة أو يسيرا معا يدا في يد، كما لو كانا قد التقيا منذ بضع سنوات وولع كل منهما بعشق الآخر إلى حد الجنون.

أثارت هذه الأفكار في نفسها السخرية؛ لأنها لم تحب العلاقات العاطفية الصيفية الساذجة. ومن ناحية أخرى لم تبق أمامها سوى ثلاثة أسابيع تعلم فيها البنات اللغتين اللاتينية واليونانية، ومن شأن هذا أن يستغرق كل وقتها وجهدها. حاولت التركيز على المشاهد الطبيعية التي توالت من خلفهما؛ حتى تتلافى كثرة التفكير في الشاب الجالس إلى جوارها.

أفاقت من أحلامها على صوت احتكاك أطر السيارة بالحصى بشدة.

قالت مشيرة بإصبعها نحو الأمام:

– مزرعة "قوس قزح" أمامنا مباشرة لماذا انعطفت إلى اليمين؟

– حتى نعود إلى بيتي.

نظر إليها متأملا ثم سألها بصوت ناطق بالإغراء:

– لماذا تناديني بلقب "سيد" عندما تشعرين بالتوتر؟

أجابته بنبرة تحد:

– إنني لا أتوتر أبدا.

تأملها جيدا فتبين أنها صادقة فيما قالت، وأنها كانت مضطربة فحسب. ولم يسعه إلا أن يكبح ابتسامة.

– إلى الجحيم بكل ذلك يا "كارولين".. إنني أصدقك.

ودوى صدى ضحكته بداخل جسد الفتاة.

توقفت الشاحنة أمام كوخ "سيث راثبون". تحرقت شوقا إلى أن تظل بجانب هذا الرجل ساحق الجاذبية، لكنها رأت أن من الحكمة أن تبتعد عنه؛ لأنه أكثر خطورة من ذلك الوغد العجوز وإن كان أكثر جمالا وبهاء.

www.alkottob.com

الفصل الرابع

كانت "كارولين" متعبة تعاني شدة الحرارة والجوع. ورغم حبها وإخلاصها للمقيمات بمزرعة "قوس قزح" لم تشعر برغبة في سرعة العودة إليهن.

رأت أنه من الأفضل ألا تخبر البنات شيئا عن عمل "چيفري" وإلا سببت الراهبتان لهما المصاعب بهدف حجب أحلامهما عن السينما.

عندما فتح لها باب الشاحنة ظلت في مكانها وقد احتقن حلقها. نظرت إليه بعينيها الجميلتين. ثم قالت:

– "چيفري".. لا ينبغي أن أبقى هنا..

– بالتأكيد بكل تأكيد. لابد أنك جائعة جدا وظننت أنك بحاجة إلى أن تجددي قواك ونشاطك. وإن لم تخني ذاكرتي غرقت سلة طعامك في النهر مع باقي السلال.

ثم طمأنها بابتسامة هادئة:

– لا تقلقي.

– ولكن.. البنات...

– لن يقمن بشن حرب بسبب تغيبك عنهن.

ثم رمقها من خلال عينين طارفتين قائلا:

– حتى على الأقل..؟

فتحت "كارولين" فاها حتى توبخه، لكنها سرعان ما رأت ذلك الشعاع المتقد في عينيه الخضراوين فعلمت أنه كان يمزح. قالت:

– حسنا سأتناول قطعة خبز.

مد "چيفري" نحوها يدا حتى يعاونها على مغادرة السيارة. كان يود أن تطول تلك اللحظة التي طوق فيها خصر الفتاة النحيل بذراعه حتى يحملها إلى الكوخ. لكنها لم تعطه الفرصة. رأى وتأكد من

أنها كانت تحاول أن تحفظ حدودها معه، لكن لم يكن من الممكن إنكار هذه الجاذبية المتبادلة بينهما، والتي قرأها بوضوح في ابتسامتها ولمسها في دفء بشرتها.

عندما ارتكزت فوق ساق واحدة أوجبت على نفسها ضرورة الاحتفاظ بتوازنها؛ لأن الأدب والذوق منعاها من أن تسقط بين ذراعي "چيفري جولدويل".

قالت بصوت مختنق:

– لو لم يكن لديك مانع فأنا أحب أن أستخدم العكاز.

تفهم "چيفري" قلقها والصراع الدائر بداخلها في سبيل استعادة هدوئها. نادرا ما رأى مثل هذا المزيج المدهش من الشجاعة والضعف معا.

*****

كانت "كارولين" بعد انقضاء نصف الساعة جالسة على شاطئ النهر وقدماها في الماء تتناول الوجبة التي كان "چيفري" قد أحضرها من أجلها. كان أيضا قد اتصل هاتفيا بالأخت "چوزفين" التي أوصت بأن تستريح الفتاة ولا تقلق.

قالت له بنبرة أدب جم:

– إنك تبدأ بالمعروف.

جلس "چيفري" فوق صخرة ناتئة من الماء يحتسي مشروبا غازيا:

– هذا أقل ما يمكنني أن أفعله.

فقالت "كارولين" بنبرة قلقة:

– لابد أن الأخت "جوان" سوف تأتي الآن للاطمئنان على الزوارق.

أمال رأسه إلى الوراء حتى يشرب ما تبقى من كأسه. قال:

www.alkottob.com

– ربما أن عمتيك قد قررتا أن تتركا لك بضع ساعات من الراحة بعد ظهيرة اليوم بعد هذا اليوم المرهق الذي عشته.

فقالت مؤكدة:

– لم يكن أسوأ من غيره كثيرا. على أية حال أشعر بأنني قادرة على العودة مع الأخت "جوان".

قفز "جيفري" من فوق الصخرة بمثل رشاقة فهد. ابتسم لها جاثيا إلى جوارها، وقد تلألأت عيناه بأضواء براقة. وعندما تلامست ركبتاهما أحس كل منهما وكأن شحنة كهربائية قد سرت في جسده. قال:

– تمددي قليلا حتى تشعري بالاسترخاء.

جاءت نبرته هادئة جدا حتى إن الفتاة أذعنت على الفور. كبحت تثاؤبا قبل أن تقول:

– يالله من يوم جميل! الجو حار جدا في "واشنطن" هذا الصيف.

انحنى "جيفري" نحو الأمام ليلمس خصلة من الشعر الأشقر تحت أذنها، فنبهت لمسة أصابعه الرقيقة أحاسيسها على الفور.

ظل شعرها مشعثا غير ممشط منذ أن قفزت إلى الماء فأضفى عليها ذلك مظهرا همجيا. هالها أن تساءلت فجأة ماذا يكون إحساسها لو أنه مرر يده في شعرها؟

قالت مكررة –بينما لوت فمها إزا أفكارها غير المناسبة–:

– إنك مهذب جدا.

كيف يمكنها أن تنجح في أن تلزم حدودها معه؟

قال:

– أي جار مهذب آخر كان سيفعل هذا.

صاحت على الفور:

– آه! ذلك المجنون "راثبون" كان سيستمتع بمشاهدتنا ونحن نغرق!

ذلك المجنون؟ سعل "جيفري" محررا حلقه. في أية مشكلة وقع؟

– شيد ذلك الوغد العجوز هذا الكوخ.

– وقد أحسن صنعه.

فقالت رافعة كتفيها:

– لا شك في ذلك.

لمس "جيفري" صدغيها متفهما أن الرجل المسن لم يكن موضوعا مثاليا للحديث. أحس نعومة بشرتها أسفل إبهاميه. لقد عرف كثيرات من أجمل جميلات العالم، لكنه لم يشته قط إحداهن مثلما يشتهي هذه الفتاة.

قال بصوت خافت:

– استرخي تماما.

– حتى لو كنت مطالبة بتصحيح واجبات اللغة اليونانية؟

– أخبريني كيف جئت من مؤسسة "ماجان" إلى إصلاحية المراهقات كي تدرسي هاتين اللغتين؟

– جئت إلى هنا مع عمتي مديرتي هذا المكان متطوعة بالعمل الخيري.

– إنك وثيقة الصلة بهما.

أكدت له ذلك بإيماءة من رأسها.

– لقد عاملتاني بكل محبة وكرم.

– تخصصين لهما كل أوقات عطلاتك؟

– نعم. لأن صاحب العمل لا يوافق على منحي إجازة خاصة لتعليم هؤلاء البنات البائسات.

– لماذا لم تختاري الذهاب إلى "باريس" أو إلى "أثينا" لقضاء عطلاتك كنوع من التغيير؟

– لأنني أجد هنا المتعة الكافية.

وإزاء نظرة الارتياب التي رمقها بها أجابته بابتسامة ساحرة ثم

www.alkottob.com

قالت:

– يحدث أحيانا أن أجد هؤلاء البنات متعبات.

– منذ متى تأتين إلى مزرعة "قوس قزح"؟

– ثمانية أعوام.

– ثمانية أعوام؟

– لأن هذا المكان يتيح لي الفرصة الوحيدة للاستفادة من معرفتي اللغتين اللاتينية واليونانية. ومن ناحية أخرى تقتضي ظروف عملي كثرة الأسفار مما يسمح لي بالذهاب إلى "باريس" و"أثينا" وغيرهما من المدن.

– هل حدث أن ذهبت إلى هناك بدون مرافق؟

أجابته ممسكة بعكازها:

– أرى أن أسئلتك مرهقة. سأذهب وأرى ما يمكننا اتخاذه بشأن القوارب.

لم تكن لدى "كارولين" أدنى فكرة بشأن هذا الموضوع، لكنها لم ترغب في أن تقضي دقيقة واحدة أخرى في سرد مبررات وجودها بمزرعة "قوس قزح". لا أهمية لأن يكون قد تفهم موقفها. وإذا كانت أسرتها أو ماضيها كنزيلة سابقة بهذه الدار وإخلاصها لهؤلاء البنات يسبب له حيرة ما فلا بأس من كل ذلك؛ لأنه لن يكون بذلك إلا واحدا من الخمسة والتسعين بالمائة من الرجال الذين عرفتهم.

لحق "جيفري" بها حيث استند إلى إحدى الصخور. سألها بنبرة رشيقة:

– وما هو عملك بمؤسسة "ماجان"؟

أجابته –بينما كانت ترفع أحد المجاديف–:

– أعمل مستشارة بقسم شؤون العاملين، وأتعامل على مدى القدر الأكبر من الوقت مع مؤسسات دولية.

فقال مؤكدا:

– أعرف قليلين جدا ممن يعملون في مؤسسات دولية ويتحدثون اللاتينية واليونانية. أية لغات أخرى تتحدثين؟

لم تكن "كارولين" تعشق التباهي بكفاءاتها الفكرية، لكن شيئا ما في "جيفري جولدويل" دفعها إلى أن تجيبه.. وراودتها رغبة مفاجئة في أن تكشف له عن كل ما لديها؛ حتى يعرف "كارولين جراي" على حقيقتها.

قالت –مواصلة مهمتها في فحص القوارب ومتعلقاتها–:

– حصلت على درجة جامعية في اللغة الفرنسية وآدابها القديمة كما حصلت على درجة أخرى في إدارة الأعمال. أتحدث الإسبانية والإيطالية بطلاقة، لكن إتقاني اللغة الألمانية محدود جدا. وأدرس حاليا اللغة اليابانية.

فسألها مبتسما:

– ولماذا لا تدرسين الروسية أيضا!

– أعرف منها بضع عبارات.

وقف يتأمل شعرها الأشقر المتموج الجميل البراق تحت أشعة الشمس، ثم أحد جواربها الصاعد حتى الركبة بينما طوت الآخر عند كاحلها. سرعان ما سوف تأتي الراهبتان لأخذها منه ثم تعود عطلته إلى مسارها المعتاد. أطلق ضحكة هيستيرية؛ لأنه إذا حدث أن بلغت مغامرته هذه أذني صحافة الفضائح فلن يكون ذلك في صالحه على الإطلاق وستقول الصحف: إن وكيل الفتانين المعروف يخف إلى نجدة الراهبات وصغار المنحرفات، وبعد ذلك كيف يمكنه إجراء تعاقدات جديدة؟

استندت "كارولين" إلى عكازها ملتفتة إلى نظرات "جيفري" الكئيبة، تولدت تلك الجاذبية –غير محددة الأسباب والمستحيل تجاهلها– بينهما من جديد. بللت بلسانها شفتيها اللتين جفتا في انتظار أن يقبلها.

www.alkottob.com

نطق باسمها بنبرة رقيقة لامسا قفا عنقها. رفعت وجهها نحوه وأمسكت يده لحظة أن سحبها. كانت تلك الحركة الملطفة بمثابة دعوة، وكانت واثقة من أنه سوف يتمكن من حل شفرة الرسالة التي وجهتها عيناها إليه.

فتحت شفتيها بقدر طفيف، فاستقر فمه عليهما تلقائيا. مررت يدها في شعره وهي تتمتم قائلة:

– لست من هواة العلاقات الغرامية التي تنتهي بنهاية العطلات الصيفية.

– ولا أنا.

ضمها بين ذراعيه مقبلا إياها بحرارة. فقدت قدرتها على التنفس، وأحست وكأن جسدها كله قد تخدر تحت لمساته الدافئة وتحين هو الفرصة فأحكم قبضه عليها ضاما إياها إلى صدره. تجاوب جسدها معه لدى ملامسة صدره العضلي القوي. سعت أقرب إليه ونطق كيانها كله بمدى رغبتها في ذلك الرجل. وإذ أدرك "جيفري" مدى الرغبة التي كادت أن تستنفدها كشف لها عما يجيش بداخله بحيث شعرت هي أيضا بمدى حاجته إليها. ألحت رقة أحاسيس تلك الفتاة عليه ولم يرغب في أن يتخلص منها..

– "كارولين" كل هذا حدث بسرعة.

أجابته متنهدة:

– أعلم. وإن كنت أسخر من نفسي إزاءه.

التحمت شفتاها بشفتيه بدافع من حاجة ملحة. لم ترغب في تلك اللحظة في أي شيء كان سوى أن تمارس الحب مع ذلك الرجل الذي لا يقاوم لكنها ابتعدت عنه فجأة وتحت بعد عناء في أن تقول:

– سوف تصل الأخت "جوان" إلى هنا الآن.

نظر إليها دون أن يفهم مغزى ما قالته ولم يزل جفناه مسترخيين:

– ثم ماذا؟

– لا أريد أن تجدني على هذا الوضع.

ابتسم متفهما الموقف بينما استطرد وهو يقول:

– من الممكن أن نفاجئنا ونحن في حالة عبث أكثر خطيئة من قبلة بريئة كما تعلمين.

تنحنحت "كارولين" قبل أن تجيب:

– نعم. بالتأكيد.

أعاد "جيفري" إليها عكازها وهو يضحك بصوت عال.

عادت إلى الجلوس في المكان الذي كانت جالسة فيه من قبل حيث وضعت قدميها في الماء مرة أخرى حيث عملت برودة الماء على تهدئة جسدها المتقد. تمددت في الظل وتثاءبت وهي تتأمل السماء.

وحذا "جيفري" حذوها، لكن ذلك لم يكن كافيا لتهدئة الرغبة التي أحسها نحوها.

– "كارولين" ما الذي أصابنا؟

وأمام صمتها سألها:

– فيم تفكرين؟

أجابته –دون أن تجرؤ على مصارحته بالحقيقة–:

– أفكر في اللغة اللاتينية.

لكنها كانت في واقع الأمر تتخيل أصابعها وهي تمررها على طول ظهره البرونزي قبل أن تدفعها إلى شعره الكستنائي.

– أفكر في أنني سوف أسأل تلميذاتي في "مفعول الأداة" اعتبارا من غد. هذا ما سوف يعلمهن ألا يكذبن علي بعد الآن.

– لا أشك في ذلك.

اتجهت نظراته إلى عنقها ثم استقرت فوق صدرها الممتلئ طويلا.

تنهدت من الأعماق قبل أن تستطرد قائلة دون أن تنظر إليه:

– لقد استسلمت أنا أيضا لنزوة ما. لأن ما بيننا لا يعدو أن يكون مغامرة عابرة على اعتبار أنك تعيش في "لوس أنجلوس" بينما أعيش

www.alkottob.com

أنا في "واشنطن".

صمت تماما، لكن "كارولين" كانت على علم بأثر عبارتها هذه عليه. رأت أنه من واجبها أن تخبره بما في ذهنها؛ لأن الوقت كان قد حان لأن يعيد الحس السليم "كارولين" إلى صوابها فقد علمتها كل تلك السنوات التي كانت قد قضتها في تعلم كيفية إدارة حياتها الخاصة أن تتجنب هذا النوع من المواقف. كذلك ينبغي أن يمنعها ارتباطها بأولئك الصغيرات الاثنتي عشرة من أن تسمح لنفسها بالتمادي في علاقة كهذه. واتاها ذهنها بسرعة بقائمة الأعمال التي كانت تريد إنجازها أثناء عطلتها وكان من بينها: التدريس في مزرعة "قوس قزح"، وقضاء أطول فترة ممكنة في الهواء الطلق، ومحاولة إعطاء معنى لحياة هؤلاء الصغيرات وإعادة قراءة "الإلياذة" بحجمها الأصلي، والتدرب على اللغة اليابانية.

قالت متنهدة:

– "جيفري" لست أحد أولوياتي.

اتسعت عيناه:

– عم تتحدثين؟

– لم تأت إلى هذه المنطقة إلا منذ عدة أيام و..

– وراهبتان تقصان علي أحداثا، واثنتا عشرة نزيلة ترمقنني بنظرات شهوانية، ومدرسة لغة لاتينية ترتدي جوربا مدرسيا تأسرني.

نظرت الفتاة إليه بهدوء تام لتقول له بعد لحظة:

– "بيبو"!

كان على حافة الانفجار ضاحكا لكنه قال:

– معذرة؟

– لا بأس. لا أرتدي الجوارب المدرسية دائما، ولا أقوم بتدريس اللغة اللاتينية وحسب والأكثر من هذا...

صمتت غير راغبة في أن تواصل الحديث.

انحنى "جيفري" نحوها قائلا:

– والأكثر من هذا؟

تنهدت:

– لم يكن لدي متسع من الوقت آسرك فيه بسحري.

فقال وابتسامة عريضة تضيء وجهه:

– "بيبو"!

قرب فمه من شفتيها في اللحظة التي سمع فيها صوت محرك مألوف يمزق هدوء المكان وفرض على هذا المشهد اضطرابا، رفعت "كارولين" أصبعها قائلة وشعاع مكر يتقد في عينيها:

– أسمع صوت محرك شاحنة مزرعة "قوس قزح". خفت الأخت "جوان" إلى نجدتي!

www.arabook.com

الفصل الخامس

سألت الأخت "جوزفين" بنبرة قلق:

– هل كنت مهذبة معه على الأقل؟

ابتسمت "كارولين" محاولة ألا يتورد وجهها خجلا:

– نعم. بالتأكيد!

تبادلت الراهبتان النظرات. جلستا ومعهما "كارولين" بعد إتمام كافة الأعمال المسائية وإقامة الصلاة لتناول قدح شاي معا، بينما توجهت البنات إلى حجراتهن للاستراحة.

بدأت الأخت "جوان" الحديث بقولها:

– نعلم جيدا مشاعرك نحو "سيث رائبون".

فأجابت "كارولين" بصوت واثق:

– ليس هناك أدنى وجه للشبه بينه وبين "جيفري جولدويل". ومن ناحية أخرى قلبت تلك الصفحة وأصبحت لا أحمل له أدنى ضغينة رغم أنه تسبب في القبض علي آنذاك، كان كل شيء سيتم تسويته ولو كان قد عاش حتى الآن ربما كانت العلاقات بيننا قد تحسنت أيضا؛ لأن التقدم في السن كان سيلطف من حدة طباعه.

قالت الأخت "جوزفين":

– هذا أمر مستحيل؛ لأنه قبل وفاته في سن الثالثة والثمانين كان يتصرف كإنسان ناكر للجميل.

كانت "كارولين" على علم بأن الأخت "جوزفين" كانت تنعته بأفظع الصفات باستخدامها هذه العبارة.

فأجابت الفتاة –بينما كانت تملأ الأقداح بالشاي–:

– ربما. لكنني أحب الاعتقاد بأنه لم يظل على هذا الخلق حتى آخر عمره.

واستطردت الأخت "جوزفين" قائلة:

– دائما ما أعجبنا بتفاؤلك حتى في أحلك الظروف. كان "سيث رائبون" تجسيدا للشر.

فقالت الأخت "جوان":

– خاصة فيما يتعلق بنا.

وكبحت "كارولين" ابتسامة. فعلى مدى الأعوام السبعة والعشرين منذ إنشاء مزرعة "قوس قزح" كان "سيث رائبون" العدو الأول للراهبتين والوحش المخيف بالنسبة لهما. وعندما اقترحتا الحصول منه على قطعة من الأرض الفضاء لإنشاء مقر دائم، اعتبر جارهما هذه المبادرة إعلانا بالحرب.

ومنذ اثنتي عشرة سنة كانت تلك الليلة التعسة التي فاجأ فيها فتاة من نزيلات الدار تدعى "كارولين جراي" وهي تلقي إلى النهر مجموعة أسلحته النارية.

قالت "كارولين" متسائلة:

– هل لي أن أفترض أنكما تحلمان بتوسيع المعسكر؟

توترت يد الأخت "جوزفين" السمراء قبل أن تقول:

– تصوري ما سوف يمثله هذا بالنسبة لفتياتنا الصغيرات لو استطعن الإقامة هنا طوال العام.

وأضافت الأخت "جوان" معلقة:

– نريد أن يعلم السيد "جولدويل" أننا لن نسبب أي مساس بأملاكه.

وأضافت الأخت "جوزفين":

– وأننا بحاجة إليه كما أثبتت له أحداث ما بعد ظهيرة هذا اليوم.

قبل انقضاء ثمان وأربعين ساعة على وصول "جيفري" إلى المنطقة وقعت كارثة أمام عينيه. بدا على الفور مستسيغا أن تسقط الفتاة بين ذراعيه، لكن عندما أصبح أمام عشائه الساخن في أمان ووحدة يمتنجعه الجبلي تمنى لو أن تلك المدرسة ذات الجوارب المدرسية

www.alkottob.com

القصيرة تتمسك بفكرة الابتعاد عنه.

استطردت الأخت "جوزفين" قائلة أمام صمت ابنة شقيقها:

– من الواضح أننا نسعى أولا إلى إقامة علاقات حسن جوار.

ابتسمت "كارولين" قابضة على يدي عمتيها:

– إنني أكن لكليكما كل حب، وأريد لكما أن تطمئنا من جانب "جيفري جولدويل". سوف نكون متفاهمين معه تماما ومن يدري ربما يوافق يوما ما على أن يبيع لنا قطعة الأرض التي نطلبها.

لكن ما إن اعتلت "كارولين" فراشها حتى راودتها الشكوك في أن جارهما الجديد هذا سيكون أكثر تعاونا معهن من سابقه. لأنه ما الذي يدفعه إلى مساعدتهن؟ فهذه البقعة النائية لابد أن تكون لها ميزة معينة حتى إن هذا الرجل أتى إليها لقضاء أولى عطلاته منذ ثلاثة أعوام. وهذا سبب آخر لرغبته في الحفاظ على حالة الهدوء من حوله.

بدأت ركبتها المصابة تؤلمها فاغمضت عينيها، رفض من جانبها سوف يوحي له بالابتعاد عن المعسكر وعنها بالتالي، مما لا يدع مجالا لإقامة علاقة عاطفية مؤقتة تنتهي بانتهاء العطلة الصيفية.

لكن ما هذا الذي تفكر فيه؟! تقلبت فوق فراشها في قلق، وفجأة عاودتها رؤية "جيفري جولدويل" وقطرات الماء تنزلق فوق جسده البرنزي، لم تتمكن من أن تبعده عن ذهنها. ما الذي أتى به إلى هذه البقعة النائية بينما كان بوسعه أن يختار أي مكان آخر في العالم يقضي فيه عطلته؟ لماذا قبلها؟ وكيف يعيش في "لوس انجلوس"؟

تنهدت مختفية تحت أغطية الفراش. ما الذي أصابها؟ في غضون بضعة أيام سوف يعود إلى الساحل الغربي من حيث أتى! وبعد رحيله سوف تعود هي إلى "واشنطن"، وإلى عملها بمؤسسة "ماجان" وإلى زملائها في العمل، وإلى حياتها الهادئة المتواضعة.

وإزاء إرهاقها وما حملته إليها أحداث ذلك اليوم استسلمت لنوم

شابه القلق.

*****

قامت "كارولين" في صباح اليوم التالي بتعليم البنات في ظل إحدى الصخور حيث جلست على الأرض واضعة ساقها المصابة فوق وسادة. اعتذرت لتلميذاتها عن عدم تصحيح واجب اللغة اللاتينية واعدة إياهن بتصحيحه فيما بعد.

تبادلت البنات نظرات فطنة، وأخذن يضحكن خلسة. وجهت نحوهن أكثر نظراتها صرامة:

– ما الغريب في ذلك؟ صفحة سبعين – "مفعول الأداة".

ثم انتظرت حتى تهتدي البنات إلى النص المطلوب، لكنهن لم يفعلن شيئا من ذلك بل همست "أمبر" قائلة:

– أليس هائلا؟

كانت "كارولين" على علم بأن مثل هذا الوصف بالنسبة للبنات ينطبق على جواد مثلما ينطبق على رجل؛ لهذا رفعت رأسها وتابعت بنظرتها الاتجاه الذي اتخذه اثنا عشر زوجا من العيون.

رأت "جيفري جولدويل" قادما نحوهن عن بعد.

احتفظت الفتاة بهدوئها ورزانتها واضعة علامة مناسبة بالصفحة قبل أن تغلق الكتاب.

وعلى الرغم من كافة قراراتها الحكيمة، لم يسعها إلا أن تعجب بذلك الشكل البشري الرشيق الذي أخذ يقترب منهن مسرعا. ارتدى بنطلونا أزرق اللون وقميصا ذا أقلام، وداعب النسيم شعره الأسمر الذهبي.

كان بهي الطلعة بحق.

لوح إليهن بيده، ولم يفت واحدة منهن وعلى وجه الخصوص

www.alkottob.com

"كارولين" ملاحظة سحر ابتسامته العذبة.

قالت "أمبر" شاكية:

– أشعر بأنني مضحكة في هذا الزي الحقير.

أما "لوسي" فقالت:

– ألا ترين أنه من الواجب أن نذهب إليه ونعرف ما يريده؟

فأجابتها "كارولين" على الفور بقولها بنبرة هادئة عادية:

– من المؤكد أن السيد "جولدويل" سوف يخبرنا بما يريده.

صاح الزائر بنبرة مرحة:

– صباح الخير جميعا.

فأجابته بنبرة مهذبة –إحساسا منها بالمسؤولية عن أن تكون لهن القدوة الحسنة–:

– صباح الخير يا سيدي. هل يمكننا مساعدتك؟

استقرت عينا الشاب على قوامها الممشوق. رآها أكثر جمالا من الأمس بشعرها الأشقر المتموج المصفف بحكمة وثوب حمام الشمس الأزرق الباهت الذي كشف عن كتفيها البرنزيتين الجميلتين وصندلها الأبيض..

تحرق شوقا إلى أن يلمسها وأن يأخذها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره، لكن تلك الصغيرات كن يراقبنهما.

قال كاشفا عن أسباب مجيئه:

– دعتني الأخت "جوزفين" إلى الغداء.

كان يجهل أن وجوده في ذلك المكان سيكون علامة مميزة في تاريخ أديرة القديسة "كاثرين" الإنجليكانية؛ لأن أحدا من جنس الرجال –باستثناء القساوسة والأساقفة– لم يشارك الراهبات مائدتهن من قبل. فبالنسبة للراهبات تعني الدعوة إلى الطعام مشاركة في الصلاة ويستبعد منها جميع القادمين من خارج الأديرة وكذلك شباب المترهبين من ذوي الوجوه والبنية الجميلة.

قالت "أمبر" غير مصدقة:

– إنك تمزح! لا تدعو الراهبتان أحدا على الإطلاق.

وقالت "لوسي":

– خاصة الرجال.

وبدون أدنى انفعال نظر إلى "كارولين" متاملا بهدوء.

فقالت موجبة على نفسها المحافظة على هدوء أعصابها:

– لفتة جميلة من جانب الأخت "جوزفين".

طالما أنها قد استطاعت تجاهل تعليقات البنات ونظراتهن فلماذا هي عاجزة عن السيطرة على انفعالات جسدها في حضور "جيفري"؟

– لن يحين موعد الغداء قبل ساعة، لكن يمكنك التنزه في المعسكر حتى ذلك الحين.

فقالت "أمبر" مقترحة:

– لنصحبه.

فقال:

– لا أريد أن أزعج دراستكن، هل يضايقك لو أنني جلست معكن؟

كبحت البنات أنفاسهن في انتظار إجابة "كارولين".

كان قد تردد كثيرا قبل مجيئه إلى المعسكر واضعا في اعتباره كافة تحذيرات جده إليه، لكن عندما تذكر شفتي "كارولين" والرغبة التي بعثتها فيه لم يتمكن من مقاومة رغبته في المجيء.

قالت الفتاة –متفهمة أن رفضها هذه الفكرة سوف يفضح اضطرابها:

– لا بكل تأكيد.

التفتت بعد ذلك نحو تلميذاتها:

– لو أنكن استسلمتن للانشغال بوجود السيد "جولدويل" بيننا

www.alkottob.com

فسوف أضطر آسفة إلى أن أطلب منه الابتعاد عن هذا المكان.

مفهوم؟

وأومأت البنات برؤوسهن.

جلس "چيفري" على قيد بضعة أمتار من نصف الدائرة التي اتخذت البنات الجالسات شكلها في مواجهة "كارولين".

علمت الفتاة مسبقا أن هذا الدرس سيكون فاشلا وأن أحدا لن يصغي إلى ما تقول:

– مفعول الاداة هو ما ينطبق بشأن المفعول به الثاني..

*****

دوى رنين ناقوس الغداء وتفرقت البنات. استندت "كارولين" إلى عكازها كي تنهض بينما أمسك "چيفري" بمرفقها، وقال:

– أعتذر لك عن هذا الإزعاج كيف حال ساقك اليوم؟

– جيدة، أشكرك.

– لا تعتزمين استعمالها عدة أيام؟

ثم ابتسم مستطردا:

– لا شك أنك تذكرين أنني قد وعدت الطبيب بذلك.

– لم يأذن لك أحد بذلك.

فرفع كتفيه قائلا:

– ومع ذلك طلبت منك أن تبقي في القارب.

– لقد صحت قائلا: الجحيم والهلاك.. لا تتحركي!

تقدمت بمقدار خطوة ورفعت عكازها وساقها المصابة قبل أن تنظر إليه.

– والآن أود أن أسالك عن ذلك يا سيدي. ماذا كنت تتوقع؟ أن أنتظر مثل أميرات الروايات الخيالية حتى يأتي "فتى الأحلام" إلى

نجدتي؟

توقف عن السير على نحو مفاجئ جدا بحيث سمعت صوت صرير الحصى تحت قدميه. عندما التفتت نحوه رأت فكيه صارين وعينيه تنطقان بمعاني الغضب.

– كان لابد لي أن أتركك تتصرفين بمفردك. لم أعتبرك قط إحدى أميرات الروايات الخيالية بل حمقاء جسورة.

– أووه!

فاستطرد قائلا بصوت أكثر خفوتا وهو يقترب منها:

– ولا تأملي أن تنسيني ما دار بيننا بالأمس بعدما ناديتني بالسيد "جولدويل".

– إنني..

ثم لزمت الصمت التام؛ لأنه كان محقا فيما قال تماما. فواقع الأمر أن التجاءها إلى الأسلوب الرسمي في الحديث معه كان بهدف التقليل من آثار تلك القبلة؛ أملا في أن تجعل الأسابيع الثلاثة المتبقية من إقامتها بمزرعة "قوس قزح" أقل صعوبة عليها.

همست قائلة:

– يا لها من حيرة!

قطب حاجبيه من الدهشة، ثم انفجر ضاحكا بأسلوب ظريف وقد اقتنع بانه فعل خيرا بمجيئه إلى المعسكر.

استطردت الفتاة قائلة:

– اتبعني! لا ينبغي أن ندخل قاعة الطعام متأخرين.

– كيف بحق السماء انتهى الأمر بهؤلاء البنات إلى أيدي الراهبات؟

– لأسباب عادية منها المخدرات والسرقة والتخريب..

– يا له من برنامج حافل..

أوجبت "كارولين" على نفسها أن تضيف:

www.alkottob.com

– لسن شريرات.. وإن كان ذلك يتوقف على تعريفك لمعنى الشر فهن يملن في الوقت الحالي إلى الانتظام في حياتهن وهذا ليس بالأمر اليسير، فحتى يبلغن هذا المستوى يتطلبن –أكثر ممن في مثل أعمارهن من الأطفال الآخرين– الكثير من الحب والرعاية.

– هل يحدث أن تحقق الراهبات هذه المهمة؟

– بالتأكيد. لكن نسبة نجاحهن تعتبر ساحقة، يجمعن الفتيات ما بين سن العاشرة والخامسة عشرة، ويقمن بالاحتفاظ بهن تحت رعايتهن مدة عامين في المتوسط، هؤلاء اللاتي رأيتهن وصلن إلى الدار قريبا جدا. كان الصيف الأول أكثر الفترات صعوبة فيما يتعلق ببرامج إعادة التأهيل دراسيا.

ابتسم "چيفري" قائلا:

– إنني سعيد الحظ جدا.

فأجابته –محاولة التخلص من انفعالها–:

– نعم.

وإذ كانت على علم بأن عمتيها كانتا تأملان أن تجدا فيه الجار المقدر للظروف لم تشأ أن تعرض مشروعهما لأية ريبة؛ لهذا استطردت قائلة:

– تمتلك طائفة القديسة "كاثرين" مؤسسات أخرى في "فيرچينيا" لكنها ذات رسالة مختلفة. هل أخبرتك أن تلميذات مزرعة "قوس قزح" متميزات في تحصيلهن الدراسي؟ يعتبر ذكاؤهن هو المسؤول إلى حد ما عن متاعبهن.

– لماذا تأتين إلى هنا منذ ثماني سنوات؟

أجابته بنبرة غير مقنعة:

– لأنني أحب هذه المنطقة إلى حد بعيد.

– والحال كذلك، استأجري لك فيلا لمدة شهر.

وضع يديه في جيبي بنطلونه ثم تنهد من أعماقه، ثم قال:

– إنني آسف. ما كان ينبغي أن أقول ذلك؛ لأن الأسلوب الذي تقضين به عطلتك ليس من شأني.

– ما توقعت منك أن تفهمني.

وصلا إلى قاعة الطعام فضغط على يدها قائلا:

– سوف نتحدث فيما بعد.

استقبلت الراهبتان "چيفري" بنفس الترحاب الذي تستقبلان به القس "اليستير جراي" مؤسس المعسكر وأبدى الزائر اهتماما شديدا عندما عرضتا عليه زيارة المؤسسة التي كانت مقسمة إلى عدد من مواقع العمل وأماكن الترفيه. وبقيت "كارولين" بمفردها مع البنات فقالت "لوسي" هامسة:

– أعتقد أنه أعجب بك.

وقالت "أمبر" معترضة بصوت عال:

– لا بالتأكيد؛ لأن رجلا مثله لا يسمح لنفسه بأن يقع تحت إغراء امرأة منطوية مثل "كارولين".

التفتت المدرسة إلى المراهقتين:

– سيكون لديكما متسع من الوقت للحديث عني فيما بعد. "أمبر".. أعدي الشطائر وأنت يا "لوسي" املئي الأباريق بالماء.

قامتا بما أمرتا به على مضض. على الرغم من أنه لم يكن من السهل أن تكون في الثانية عشرة من عمرها، عقدت "أمبر" الأمور برغبتها في أن تكبر بسرعة. وإذ كانت "كارولين" أكبر سنا كانت إذا ملت شخصا ما تحتفظ بمشاعرها خافية عن الغير، وليس مثل العدد الأكبر من تلك المراهقات. فللمرة الأولى منذ كل هذه السنوات التي قضتها في مزرعة "قوس قزح" أحست بعدم الرغبة في مشاركة هؤلاء البنات في الكثير من الأمور.

ألقت بنظرة عفوية في اتجاه "چيفري" الذي أحاطت به الراهبتان في زيهما الرمادي، وبدا لها فجأة وكأنه بعيد عن متناولها.

www.alkottob.com

تنهدت مللا واضطرابا معا فقد اقترب "جيفري" وعمتاها من المائدة وكانت عليها أطباق من الزبد والفول السوداني وشطائر التونة وحساء الدجاج بالمكرونة وسلة بسكويت بالإضافة إلى الفاكهة.

قالت "كارولين" -محذرة البنات بصوت خافت-:

- توخين السلوك بأدب، ولا ترهقن السيد "جولدويل" بكثرة الأسئلة.

تابعت الفتاة الحوار بين جميع الأطراف مهيئة نفسها للتدخل إذا بدا من ضيفهن أي من علامات الضيق أو نفاد الصبر. وعندما تحدث عن مهنته لم تبد أي من البنات حركة واحدة، فارتابت في أنهن يحاولن لفت نظره إليهن.

سألته "أمبر" في النهاية وقد اتقدت عيناها لفكرة احتمال أن تصبح ثرية ومشهورة:

- لابد أنك تعرف عددا من مشاهير النجوم.

ابتسم "جيفري" بعبث قبل أن يجيب:

- إنني ممثل لعدد منهن.

نجحت محادثاته في أن يبقين جالسات ليقلن بصوت واحد:

- من منهن؟

ذكر أسماء ثلاثة من ألمع النجوم المعروفين على مستوى العالم حتى للراهبات. وبينما واصل حديثه حاولت "كارولين" عبثا أن تتصور نوعية الحياة التي يعيشها. النجاح والجنس والمخدرات والشخصيات المرموقة والعقود ذات المبالغ الباهظة.. هل يمثل كل هذا جزءا من نشاط "جيفري" اليومي؟ وطالما أنه منتم إلى تلك النوعية من المجتمع، كيف يمكنه أن يقضي عطلته في مكان مثل "بيركشير"؟

لكن ألم يفضّلها على الفور تقريبا بعدما التقى بها؟ وإذا كان لها مثل هذا الجمال الخفي ألا يكون الفضل في ذلك راجعا إلى خبرته بالنساء؟

سألته "أمبر" بلا تردد:

- وكيف حدث أن جئت إلى هذه البقعة النائية من العالم؟

تأهبت الراهبتان للوم الفتاة الصغيرة في اللحظة التي انفجر "جيفري" فيها ضاحكا:

- أوصاني جدي قبل وفاته بشاحنته وكوخه وأرضه.

سألت "كارولين" نفسها: جده؟

ملأ لنفسه كوب ماء بلا تكلف. جلس بجوار "كارولين" على مقربة كافية لأن تحتك ساقاهما ببعضهما البعض، فأحس بقشعريرة تسري بجسده. لم يحدث قط أن افتتن بأية امرأة بكل هذه السرعة.

وعلى الرغم من عدم رغبته في أن يفعل أي شيء من شأنه المساس بالمستقبل لم يكن ذلك مبررا كافيا لإخفاء الحقائق. فقد طرحت "أمبر" عليه السؤال الذي كان يخشاه وأجابها عنه؛ لأنه لم يكن أمامه بديل عن ذلك. ولو لم يكن إعجابه بـ"كارولين" شديدا فربما كان قد كذب عليهن.

استطرد قائلا بعد لحظة توقف:

- لم آت إلى هنا منذ أن كنت طفلا. قص علي جدي "سيث راثبون" الكثير عن شجاره مع مزرعة "قوس قزح". وآل "راثبون" رغم ما يبدو عليهم من فظاظة المظهر لا يكنون لأحد سوء نوايا.

قالت الأخت "جوزفين":

- لننس الماضي ونرحب بجارنا الجديد السيد "جولدويل" متمنين له إقامة سعيدة.

قالت "أمبر" -بصوت خافت تحت ضحكات زميلاتها-:

- "كارولين"، تذكرين ما فعله بك هذا الوغد العجوز.. لقد رويت لنا أنه...

ضربت الأخت "جوان" المائدة بقبضة يدها قائلة:

- كفى يا "أمبر". اذهبي وأحضري سلة الخوخ.

www.alkottob.com

واستأذنت الفتاة لتنفذ ما طلب منها، ولم تبد عليها أدنى علامات الندم. وتبين "چيفري" بذعر أنه قد تطرق إلى موضوع لم يزل بالغ الحساسية على خلاف ما كان يتصور، أما هو فرأى أن كراهيتهن لـ"سيث رائبون" كانت راجعة إلى أن ذلك العجوز كان يحتقر أولئك المنحرفات الصغيرات ويشك فيهن.

وقد أشارت الأدلة إلى أن كراهية "كارولين" لجده كانت تخفي بين طياتها شيئا أكثر عمقا. ما الذي من الممكن أن يكون قد حدث؟

ثم لا أهمية لذلك! فقد بدأ الموقف يتوتر دقيقة بعد الأخرى، عندما نظر إلى الجالسة بجواره إلى المائدة لاحظ جمال عنقها الممشوق وعينيها الزرقاوين اللتين تحاشتا بكل عناية لقاء عينيه.. وصدرها الممتلئ الجميل.. والتوتر الذي احتفظت به بتوازنها فوق مقعدها. فمنذ أن اصطدمت قواربهن تحت نوافذ كوخه لم يعرف لحظة هدوء.

لكنه أحس بعجز شديد. قال محدثا نفسه في صمت: "الجحيم والهلاك" مدرسة اللغة اللاتينية التي تحب هؤلاء الصبايا البغيضات قد سلبتني لبي. فيم كان مشتركا معها؟ لا شيء على الإطلاق!

عادت "أمبر" من المطبخ حاملة سلة الخوخ التي قدمتها إليه. وبعدما قدمها إلى "كارولين" نهض فجأة إذ أحس بوهن غير عادي بركبتيه. لم يفلح أكبر المنتجين السينمائيين في إخافته، بينما كادت راهبتان واثنتا عشرة صبية و"كارولين جراي" -وهي على وجه الخصوص- أن ينجحن في إثارة غضبه.

قال مبتسما بحرارة:

- أشكركن على هذه الوجبة يا أختي ويا بنات.. ويا "كارولين".

ثم غادر قاعة الطعام بخطى واثقة.

قال محدثا نفسه -بينما صدم إحدى الأحجار بقدمه-:

- "إنجاز عظيم يا "جولدويل".

فقد تجاوز الموقف حدود توقعاته. كانت الفتاة تعرف جده جيدا. وإذا كان ذلك كافيا لإدانته فليكن لها ذلك.

توقف في وسط المعسكر متسائلا: أليس ثمة ما يمكنه فعله بحق؟ لابد أن يجد حلا ما. أليس من عادته أن يقول لعملائه إن هناك دائما السبيل عندما نريده بجدية؟.. لم يرهبه أي شيء لكن المشكلة تتعقد عندما يواجه بإرادة أقوى من إرادته هو.

www.alkottob.com

الفصل السادس

جلس "چيفري" صبيحة اليوم التالي فوق مقعد مستطيل بالقرب من النهر وبيده نص لا رغبة له في قراءته، ولكن بعد ليلة تعسة كان من الضروري له أن يقوم بمثل هذا العمل حتى يشغل تفكيره عن مشكلته الأساسية.

كان نومه في الليلة السابقة مشحونا بالأحلام المزعجة التي ظهرت الراهبتان والمراهقات الصغيرات فيها بلا مبرر ولا نظام، كما رأى فيها جده العجوز. وعندما استيقظ تمنى لو أنه وجد "كارولين" راقدة بجواره بجسمها النحيف منهكة القوى بعد ليلة حب ساحرة.

رفع بصره نحو السماء. كانت الرياح قد أبعدت الغيوم فسطعت الشمس في صفاء الجو. كان "چيفري" قد أقسم على ألا يعود إلى مزرعة "قوس قزح" بدون دعوة. كان قد قضى أمسيته في البحث عن حجج ومبررات للذهاب إلى هناك.. لكن إحداها لم تكن مقنعة تماما، وأصبحت البنات هن أمله الوحيد. لابد أن الفتاة تبذل ما بوسعها في هذه اللحظة حتى تعلم أولئك المذنبات الجالسات فوق العشب مفعول الأداة أو المفعول به الثاني كما سبق أن شرحت لهن.

والأكثر من هذا كان على "كارولين" أن تؤكد إحساسه بأن جاذبيتها نحوه تزداد يوما بعد يوم، على الرغم من أن جده هو "سيث راثبون".

لكن كيف تتصرف وركبتها المصابة تمنعها من السير ومن قيادة السيارة؟ دهش "چيفري" إذ تبين أن جده لن يخرج من قبره ليؤنبه على أنه قد قبّل مدرسة "أولئك الحشرات عديمة النفع" وابنة شقيق هاتين "الدودتين ماصتي الدماء، الأختين الخيرتين".

ثارت ثائرته؛ فضرب الورق بقبضته رافضا كل علاقة بتلك الفتاة.

- أوهي!

رفع "چيفري" رأسه فشاهد قاربا يقوده شخص ما على رأسه شملة. قال قافزا بقدميه:

- لا أستطيع أن أصدق عيني. "الجحيم والهلاك"!

اصطدم القارب بإحدى الصخور لكن "كارولين" استطاعت أن تنقذه بمهارة وتحول دون تحطمه.

قال متمتما لنفسه -بعدما قفز في الماء-:

- مهارة فائقة يا عزيزتي.

ابتسمت له -وهي مشرقة الوجه اعتزازا بادائها-:

- كنت على ثقة من أنني سوف أنجح في المرة الثانية.

- متهورة!

استقرت عيناها الزرقاوان عليه وقد نطقتا بمعاني الحقد:

- صباح الخير يا "چيفري". أرسلتني الأخت "چوزفين" إليك.

كبح أنفاسه أمام هذه المفاجأة. هل له أن يرى في هذه الزيارة تلك الإشارة التي كان ينتظرها من الفتاة؟

- حقيقة؟

- سوف أشرح لك الأمر.

أرادت أن تمسك بعكازها الموضوع في قاع القارب، لكنه أخذها بين ذراعيه وضمها إلى صدره بشدة.

لم تفارقها نظراته وقد توتر جسده وتلاحقت أنفاسه:

- "كارولين"!

جاء صوته خشنا إلى حد الغلظة. وتأهبت عاصفة المشاعر التي سبق لها الهبوب عليهما لأن تبدأ من جديد..

اهتدى فمه إلى شفتيها دون انتظار لدعوة أو تشجيع من جانبها فقبلها بحرارة مثيرة. كان بوسعها أن تمنعه، لكنها لم تقل شيئا بل فتحت له شفتيها حتى تكشف له عن شدة رغبتها فيه بغض النظر عن أي اعتبار آخر. وفي تلك اللحظة رأى أحلام الليلة السابقة

www.alkottob.com

تتحقق أمام عينيه.

طوقت عنقه بذراعيها متشبثة به:

– "چيفري" سوف تموت في هذا الماء المثلج.

قال هامسا:

– هل أوحي إليك بأنني أعاني البرد؟

تجاوبت معه بكل حرارة مطلقة العنان لمشاعرها التي كادت أن تستهلكها تماما. أحست بأنهما يحلقان معا من فوق الأشجار ومن فوق الغيوم حتى يبلغا الشمس غافلين عن كل هموم هذا العالم وكل منهما بين ذراعي الآخر.

هل سبق لها أن عرفت مثل هذا الإحساس تجاه أي رجل؟ هل رغبت أي رجل من قبل مثلما ترغب "چيفري"؟ لاحت هذه الأسئلة بذهنها دون المطالبة بإجابة عنها؛ لأنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنها لم تعرف من قبل رجلا مثله.

قال بصوت أجش من فرط المشاعر:

– "كارولين" تعلمين أنني أريدك؟

التصقت به مداعبة وجنتيه وواضعة إصبعا على فمه:

– نعم.

حملها حتى المقعد ثم وضعها فوق العشب السابح في أشعة الشمس، وأخبرتها عيناه بأن شيئا في الوجود لا يمكنه أن يعوقه، مدت يديها نحوه كي تلمسه حتى تفهمه من خلال هذه الإشارة البسيطة أنها هي أيضا راغبة في أن تذهب معه إلى ما هو أبعد. قبلها بحرارة لامسا جسدها بحنان.

عندما أتت إليه كانت قد أذعنت إلى نزوة من جانبها؛ أملا في أن يلبي رغبتها وإن لم تتوفر لديها الجرأة في أن تتأكد من أن طلبها سوف يجاب.

– كم أنك جميلة يا "كارولين"!

أحست الفتاة بأن العقل والحكمة قد تخليا عنها تماما، واقشعر جسدها لملامسته، بينما أغرقت قبلاته الحارة صوته بينما كان يبدي إعجابه الشديد إزاء كل تلامس بينهما.

وفجأة ابتعد "چيفري" عنها متسائلا:

– "كارولين".. لا مشكلة بشأن جدي؟

اتسعت عيناها دهشة والتقت بعينيه:

– "سيث راثبون"؟ كيف يمكن لتفكيرك أن يتجه إليه في لحظة كهذه؟

تدحرج فوق العشب ناظرا إلى السماء.

– "چيفري".. ما الذي حدث؟

رمقها بابتسامة صادقة قائلا:

– إنني ضحية نوبة ضميرية فحسب. "كارولين"، ينبغي أن نتكلم.

نظرت إليه غير مصدقة:

– نتكلم؟ لكنني ظننت...

ثم تحولت نظرتها إلى الجدية.

– هل أنت معتاد أن تشير في المرأة الرغبة في ممارسة الحب ثم تنسحب حتى.. حتى نتكلم؟ هل تتبع هذا الأسلوب مع جميع النساء اللاتي تستميلهن إليك؟

اقتلعت قبضة عشب قذفت بها في الهواء تعبيرا عن شدة غضبها.

رقد "چيفري" على أحد جانبيه حتى يراقب رد فعلها غير المتوقع إزاء ما اعتبره قمة السيطرة على الذات. لم يعرف على وجه التحديد ما الذي كان يأمله، هل تمرد على جده أم اعترف بفضله عليه؟ هذا فضلا عما كانت قد ذكرته من أن العلاقات الغرامية التي لا تدوم بعد انتهاء العطلات الصيفية لا تستهويها. وجد هذا الغضب المفاجئ محيرا ومسليا على حد سواء.

www.alkottob.com

أجابها:

– لا.

تأملته جيدا قبل أن تسأل:

– لماذا إذن تتبعه معي؟

– لأن واحدة من "نسائي" لم ترعيبا في أن يكون اسم جدي "سيث رائبون".

فقالت متمتمة –بينما استندت إلى ذراعيها–:

– لأنهن لم يعرفنه. حسنا جدا. والحال كذلك لنتكلم.

لمس طرف أنفها بحركة تنطق بصدق المشاعر.

– وما رأيك في أن أعد لنا قهوة؟

وانصرف في اتجاه الكوخ، لكنه ما لبث أن توقف ليبتسم إليها قائلا:

– لا حاجة بنا إلى أن نقضي عمرنا في الكلام.

قطبت الفتاة حاجبيها وقد سيطرت عليها موجة من مشاعر السعادة لم تعرف مثلها منذ زمن طويل، لأن مع "جيفري جولدويل" تعبر بحرية عما يجيش بطبيعتها الاندفاعية. كانت قد نزلت إلى النهر في الزورق بركبة مصابة حتى تأتي إليه وتلقي بنفسها بين ذراعيه. ما هذا الذي أصاب "كارولين جراي" المعروفة بالسيطرة الكاملة على ذاتها عادة؟

ارتدت ثيابها ثانية بينما شغل ذهنها بالتفكير. قالت محدثة نفسها بصوت مسموع:

– والآن أصبحت على شكل أكثر احتراما ومسؤولية.

نادت بعد ذلك "جيفري" كي يحضر لها العكاز من قاع القارب.

*****

www.alkottob.com

جلس كلاهما بشرفة الكوخ الصغير يتناولان القهوة المثلجة ويتناقشان مثل جارين تحينا صباحا صيفيا للحديث معا، قالت بلا مقدمات:

– لا حاجة بك إلى مراعاة أسلوب حديثك في وجودي.

– "كارولين".. ماذا تعنين بذلك؟

– عرفت رجلا –منذ فترة قصيرة من الزمن– يستخدم ألفاظا فاحشة. لكنه يلجأ في وجودي إلى استخدام تعبيرات مخففة مثل "يا إلهي" و"يا للهول" وما إلى ذلك، لأنه عرف أن أبي يشغل منصب أسقف وأن...

ثم لوت فمها.

– يا إلهي!

وبدا "جيفري" مركزا اهتمامه على قهوته:

– والدك أسقف؟

– نعم. بالطائفة "الإنجليكانية".

– ووالدتك؟

– توفيت عندما كنت في الثالثة من عمري.

– آسف جدا.

عادت معاني الحرارة إلى عينيه، بينما قبض على قدحه بكلتا يديه. انحنى نحوها:

– لابد أنك قد واجهت صعوبات حتى كبرت.

– على العكس. كانت طفولتي ممتعة. فبعد وفاة والدتي كانت لي مربية فرنسية، وعندما بلغت الثامنة أصبحت أتحدث تلك اللغة بطلاقة ولم تظهر المتاعب إلا في سنوات المراهقة. لكن عندما أقف على ما عانته هؤلاء الصبايا أحمد الله على ما عشته في مثل أعمارهن.

ثم ابتسمت رافعة كتفيها قبل أن ترتشف قدحها.

– أعرف أناسا أشرارا جدا دون أن يكون بأسرهم أساقفة ولا رهبان.

– "سيث راثبون"؟

فقالت ضاحكة:

– مثلا.

لوى "چيفري" فمه إعجابا:

– وأنا حفيده.

فقالت الفتاة متأرجحة فوق مقعدها:

– أعلم ذلك.

– ينبغي أن تعلمي إذن أن مسلكي الأخير هذا كان هدفه الوحيد هو أن أثبت لك حقيقة مشاعري نحوك.

فقالت متعجبة دون أن تدري ماذا تضيف:

– أووه!

لم يسعه إلا أن يكبح ابتسامة أمام شعرها الأشقر المتموج البارز من الشملة، وعينيها الواسعتين المستديرتين المتوهجتين، وأنفها المكسو بلمسات النمش. أحس بالدفء يسري في جسده وتدم للمرة العاشرة على نوبة الضمير التي كانت قد أصابته، وقال:

– ما السبب الذي حدا بالأخت "جوزفين" إلى أن تبعث بك إلي؟

تمالكت "كارولين" أعصابها:

– أووه.. حسنا.. قد لا تكون على علم بأن محصولا كبيرا من الريحان ينمو على أرضك.

فقال –مشيرا بإصبعه في اتجاه النهر–:

– بالحقول الواقعة خلف أشجار الشوح. عندما كنت طفلا كنت أذهب مع أبناء عمي لجنيه. كنت آتي إلى هنا كل صيف تقريبا قبل أن أذهب وأعيش في "لوس أنجلوس" في سن العاشرة.

لم يدع فرصة واحدة تمر دون أن يذكرها فيها بقرابته لـ"راثبون"

العجوز وعلى الرغم من أن تلك الصلة كانت تزعجها إلا أنه لم يمكنها أن تكن له عداوة بسببها.

بدا في غاية الاسترخاء ممددا ساقيه أمامه وهو يقول:

– والحقل الواقع على الجانب الآخر من الجدار الحجري كان ملكا لخالتي الكبرى "سيلفيا" وكان يأتي بمحصول وفير من الريحان، لكن لم يكن لنا أي حق في الذهاب إلى هناك وقطفه؛ لأنها كانت قد تبرعت بأفدنتها المائة والعشرين إلى الطائفة التي تنتمي إليها عمتاك. كنت في الثامنة من عمري آنذاك ولازلت أذكر كم ثارت ثائرة جدي عندما بلغه هذا النبأ.

ثم ابتسم "چيفري" قبل أن يسألها:

– والدك هل تعامل أيضا مع "راثبون" العجوز؟

– لا علم لي بذلك.

– لم يكن لك اعتراض على ذلك؟

– جدك وأنا لم نكن متفاهمين تماما.

رفع بصره إليها:

– لا تريدين أن تحدثيني عن هذا الموضوع؟

– أحب أولا أن أعرف ما إذا كنت ستسمح لبناتنا بجني هذا المحصول من أرضك.

– هل اقترب عيد الريحان؟

فأجابته "كارولين":

– نعم.

اعتادت هذه المناسبة السنوية على وجه الخصوص إزعاج "سيث راثبون"؛ لأنه على مدى يوم كامل كانت البنات وفاعلو الخير المنتمون إلى تلك الطائفة ورجال الدين يقطعون عليه عزلته.

– سيكون يوم الأحد المقبل ومن المؤكد أننا سوف ندعوك لمشاركتنا إياه.

www.alkottob.com

تململ فوق مقعده ثم تنهد قائلا:

– "كارولين" إنك على علم تام بأنني سوف أوافق على السماح لكنّ بالجني.

– لا!

نهض فجأة وظل فوق قمة الدرج ينظر إلى الجبال الواقعة على الجانب الآخر من النهر.

قال بهدوء تام:

– سوف أبذل ما بوسعي. لكن جدي قد رسخ في ذهني ظنونا معينة فيما يتعلق بلقاء بناتكن. يمكنك القول: إن سنوات الغيرة قد أكسبتني رأيا.. سلبيا فيما يتعلق بهن. لهذا لا مانع لدي من أن أعطيهن فرصة.. بشرط أن تعطيني أنت أيضا فرصة.

ارتبكت الفتاة لأنه على الرغم من رأيها في جده لم يخف عنها الحقيقة. وإذ أصبحت هي على علم تام بمشاعره نحو أولئك المنحرفات الصغيرات هل بوسعها أن تعترف له بأنها كانت في وقت ما واحدة مثلهن؟

قالت:

– كنت واحدة من هؤلاء البنات في وقت ما.

التفت نحوها قائلا:

– معذرة؟

– كنت إحدى بنات مزرعة "قوس قزح" في وقت من الأوقات.

– هل ما تعنينه هو..

– نعم. قمت بتزييف بعض التذاكر الطبية؛ بهدف الحصول على المواد المخدرة. لكنني لست خجلة من ماضي.

أدار "چيفري" ظهره إلى النهر وحك قفا عنقه.

– لا بأس. تريدين أن تفهميني أنني قد أسأت الظن بامرأة لم تكتف بتعليم هؤلاء البنات المنحرفات فحسب، بل كانت واحدة

مثلهن في وقت ما؟ هل لديك المزيد من مثل هذه الأمور مما تريدين أن تقوليه لي؟

وعندما سمع صوتا مكبوحا نظر إلى الفتاة غير مصدق في بادئ الأمر ثم قال غاضبا بعد ذلك:

– هل تضحكين؟

فقالت الفتاة باضطراب –وهي تحاول السيطرة على ذاتها دون جدوى–:

– آسفة..

قال مزمجرا بصوت فظ:

– يا فتاة.. تستحقين أن أقذف بك في الماء.

– أعلم أنه ما كان ينبغي أن أفعل ذلك لكنك يا "چيفري" تسيء الظن بي.

نظر إليها من خلال عينين طارفتين قائلا:

– إنني أنتقي كلماتي.

– نعم. بلا أدنى شك.

أعادت خصلة شعر إلى ما تحت شملتها حتى تستعيد جدية ملامحها.

– لم ألتق قط بأحد مثلك يا "كارولين".

رمقته بنظرة عدائية:

– هل لي أن أعتبر ذلك مجاملة لي؟

أخذها بين ذراعيه شاعرا بنعومة جسدها من تحت قميصها باعثا فيها دفئا استشعرته أنامله.

قال غامزا بإحدى عينيه:

– من الممكن ذلك. كان لابد لي أن أشك في أن لك ماضيا غير فاضل جدا.

– بسبب عيني؟

www.alkottob.com

– وأيضا لسهولة تعاملك مع أولئك البنات. ولا عجب في أنك لم تستسيغي تحاملي عليهن.

تحدث بهدوء كما لو كان قد نسي إلى أين وصلت يداه.

– "چيفري"..

– همم؟

– هل أنت مدرك ما أنت موشك أن تفعله بي؟

فقال مبتسما:

– لدي فكرة طفيفة.

خفق قلب الفتاة بشدة وتلاحقت أنفاسها واختنقت الكلمات في عمق حلقها؛ إذ أصابتها موجة الدفء التي حوتها بالدوار.

واستبد بجسدها نوع من الخوف المستساغ ولم ترغب في أي شيء في الوجود أكثر مما وعدت به تلك اللحظة.

– ومع ذلك..

ثم توقفت عن الحديث كي تبلل شفتيها بلسانها قبل أن تستطرد قائلة:

– لم أخبرك بكل ما لدي.

– لا أستبعد ذلك، لكنني سوف أصغي إليك في وقت غير هذا.

واستأثر فمه بشفتيها فوضعت يديها فوق كتفيه بينما عرفت أصابعها طريقها إلى شعره.

قال بصوت أجش مثقل بالمشاعر:

– اسمحي لي بأن أمارس الحب معك.

– "چيفري" ينبغي أن...

– ماذا أيضا؟

– البنات... خرجن للتنزه...

– ثم ماذا؟

– وعدتهن بعصير فاكهة لدى عودتهن. آسفة جدا.

ثم استأذنت منه طابعة قبلة عذبة فوق وجنته، أجابها بلمس خفيف لمقدمة أنفها دون أن يخمد الرغبة التي كانت قد أضرمتها بجسده.

– عزيزتي.. يراودني إحساس بأنني من الممكن أن أصبح متيما بحدثة سابقة من نزيلات مزرعة "قوس قزح" أصبحت مدرسة للغة اللاتينية.

قبلها ثانية هامسا في أذنها بينما كانت تعيد الشملة فوق شعرها:

– أعتقد أن هذا ما قد حدث بالفعل.

www.alkottob.com

الفصل السابع

سلكا الطريق المؤدي إلى مزرعة "قوس قزح" رابطين القارب بالشاحنة. ثم قام "چيفري" بإرسائه بالقرب من البحيرة وذهب للبحث عن "كارولين" في حجرة المائدة حيث وجدها تفتح بعض علب الشوكولاتة. سألها "چيفري":

– هذه الحلوى على هيئة أصابع؟

– إنها باهظة الثمن. نولي الأهمية الأولى للجودة فيما يتعلق بالسلع التي نشتريها.

رمقها بنظرة غامضة:

– دائما ما أسعى إلى الجودة وأستطيع معرفتها عندما أراها أمامي.

التفتت نحوه تشحذ مديتها فتراجع "چيفري" متعقلا بعيدا عنها فقالت:

– لا يمكنني تفهم الأسلوب الذي أتصرف به، ومع ذلك أشعر بأنني ساذجة جدا بالمقارنة بك.

صمت في انتظار أن تواصل حديثها فقالت:

– من الممكن أن تكون لك علاقات بفتيات كثيرات من أمثالي و..

كاد أن يختنق وهو يسعل.

– تعلم ما أريد أن أقوله. ذهبت إلى "هوليوود" وإلى السينما.

وضع قدمه فوق أحد المقاعد المستطيلة:

– ألا تشاهدين التليفزيون؟ كثيرون من عملائي يعملون فيه.

– ثم ماذا...

– أها.. تشاهدينه!

– أمسية واحدة كل أسبوع. أعيش في "واشنطن" وأعمل هناك. ولا أتباهى بأنني أقضي جميع أيام الخميس بالبيت؛ لأغسل شعري

أو أصنع قناعا لوجهي، أو أقوم ببعض أشغال الإبرة أمام الشاشة الصغيرة.

وبينما كانت تفتح أكياس الحلوى سألته:

– أنت قلق علي أم على نفسك؟

فأجاب بلا أدنى قدر من التردد:

– على كلينا يا "كارولين". لا أريد علاقة حب صيفية معك.

أحست بوقع نظرته عليها مما حدا بها إلى أن ترفع رأسها قائلة:

– "چيفري".. لم ألتق في حياتي بأحد مثلك ولم أشعر تجاه أي رجل بما أشعر به الآن وعلى الرغم من أن الأمر قد تطور بيننا بهذا القدر من السرعة، وجهت نزعتي الاندفاعية إلى..

– أعتبر نزعتك هذه أكثر سماتك جاذبية.

– ربما، ومع ذلك ينبغي علي التحكم فيها وتقييدها بسبب اقترانها بتفاؤلي، فقد تسببت هاتان السمتان في ضياعي أكثر من مرة واحدة.

– لكن يا عزيزتي لن يمكنك أن تتغيري. فلم تصبحي في الثانية عشرة من عمرك. أصبحت فتاة بالغة، وهذا ما يسمح لك بأن تظلي صادقة مع نفسك.

"تظلي صادقة مع نفسك" هذا على وجه التحديد ما كانت تتوقعه من رجل عمرها حتى لو كان قد غاب على الجميع أن يروها على حقيقتها. كانت تحتفظ بقدر منها تحت السيطرة.. هذا القدر الذي مكنها من النزول إلى النهر في القارب سعيا إلى الرجل الذي لم تكد تعرفه.

– يعتبرني الناس في "واشنطن" مثقفة متحضرة.

– لا غرابة في ذلك؛ لأن مثل هذه الواجهة تتسق وشخصيتك. تماما كما يعتبرونني مفاوضا مجحفا، وأحيانا محطم القلوب. لكن ذلك راجع إلى الأقنعة التي نكسو بها وجوهنا أمام الناس. لذلك كل

www.alkottob.com

ما نحن بحاجة إليه هو ملاذ نسترخي فيه بصحبة إنسان يهيئ لنا مثل هذا الجو.

ابتسمت "كارولين" قائلة:

– هذا ما تعنيه مزرعة "قوس قزح" بالنسبة إلي، ملجأ يمكنني فيه تجديد نشاطي بين أناس يحبونني لشخصي ولما أنا عليه.

ثم نظرت إلى "چيفري" مستطردة:

– لا أدري ما إذا كنت أجيد الحكم على الآخرين لكنك..

– مستشارة تعمل لدى "ماچان" ليس لها حق في ارتكاب أخطاء.

– لكنني ارتكبت أخطاء جسيمة في حق نفسي.

– وسوف ترتكبين غيرها، لكن ينبغي عليك مواجهة مثل هذه الاحتمالات.

أخذ قطعة حلوى من يديها تناولها على الفور ثم قال –بينما كان يجلس فوق كتلة خشبية–:

– يسود المكان هدوء تام في غياب البنات.

– لكنهن يضفين عليه مذاقا.

– إنه مكان مثالي لقضاء العطلات. الجو حار جدا في "لوس أنجلوس" في هذا الوقت من العام.

– وفي "واشنطن" أيضا. الراهبات سعيدات الحظ؛ لأنهن وجدن هذا المكان بفضل كرم خالتك.

مد "چيفري" ساقيه قائلا:

– تعلمت السباحة في هذه البحيرة. كان أبي مدرسا متميزا لي وإن لم يكن صبورا جدا. لكنه حقق هدفه مع ذلك. لم يتغير شيء هنا على مدى كل هذه السنوات.

– وماذا كنت تأمل؟

ابتسم:

– وفقا لما كان يرويه لي، كان من الممكن أن أتوقع أي شيء بما في

ذلك مستعمرة من الوحوش الصغيرة لتخيف نزيلاتكن. لم ترق له فكرة التنازل عن الممر المؤدي إلى البحيرة لكنه كان ضمن ممتلكات "سيلفيا".

فقالت "كارولين" –بنبرة غير متسمة تماما بالرقة–:

– كان يمكنه أن يأتي إليها في أي وقت يختاره.

فقال "چيفري":

– حتى تلتهمه الوحوش.؟ ومن جهة أخرى فإنه يرفض الكشف عن ساقيه النحيفتين خارج نطاق الأسرة.

– لحسن الحظ أنك لم ترثه فيهما.

انفجر ضاحكا:

– سوف نرى في غضون أربعين أو خمسين عاما.

– ربما يكون جدك قد فقد المنفذ المباشر إلى البحيرة، لكنه احتفظ بواجهة أول الطريق.

– كان شديد التمسك بها حائلا بذلك دون توسيع الأخوات معسكرهن من تلك الجهة.

صلبت الفتاة ساقيها:

– تبدو وكأنك تجد له مبررا.

– لا يمكننا أن نلومه على رفضه أن يقام منزل أمام بابه.

– لكن هذه الفيلا كانت كبيرة النفع لبرنامج إعادة النزيلات إلى التعليم الذي يقوم به الدير.

رفع "چيفري" كتفيه معبرا عن ندمه على أنه قد تطرق إلى هذا الموضوع الشائك:

– وجهة نظر محل جدل.

– ليس بالنسبة للراهبتين.

– هل ما تعنينه هو أن اعتزامهما إقامة مثل هذه الدار لايزال قائما؟ وبعد انقضاء ثلاثين عاما؟

www.alkottob.com

– بكل تأكيد.

انفجر "جيفري" ضاحكا ولم يستطع أن يصدق ما سمع:

– لم يخطئ جدي في تقديره إياهما عندما قال: إنهما لا تستسلمان قط. وتساءلت لماذا أبديتا تجاهي كل هذا الظرف..

– إنك تظلمهما! كانتا سوف تحسنان استقبالك على أية حال.

– أعلم يا عزيزتي. كنت أمزح وحسب.

لمس ذراع الفتاة وسرت أصابعه تلقائيا حتى مرفقها، لكن "كارولين" نجحت في أن تسيطر على رغبتها في أن تلقي بنفسها إلى عنقه حيث كان جسدها كله ينبض مطالبا به. فمجرد نظرة عابرة منه من الممكن أن تصبح أكثر الملامسات براءة "شيئا ثقيلا بحيث لا يمكن احتمال الصبر عليه.

– "كارولين".. هل من الممكن أن يمثل "سيث رائبون" أي عائق لنا؟

– لا!

نهضت وقفزت في الماء وقد نسيت إصابة ساقها.

– لقد أفسد حياتي فترة من الزمن بالفعل، ولا تعتقد أنني سوف أسمح له بأن يعكر صفوها مرة ثانية.

– كيف فعل بك ذلك؟

– تسبب في إلقاء القبض علي؟

– إلقاء القبض عليك؟

رمقها بنظرة ثاقبة:

– "كارولين" هل أنت الفتاة التي حطمت مجموعة أسلحته النارية؟

التفتت نحوه قائلة:

– تعبيرا عن اعتراضي على صيد الحيوانات وعلى الحرب في "فيتنام"..

– لكنك بذلك ارتكبت جنحة.

– كان ذلك تأكيدا سليما لوجهة نظري.

– بل كان عملا تخريبيا.

رأت أنه كان يوجب على نفسه أن يبدو جادا.

– لم تكن في تلك الواقعة أية غرابة! كان جدك أشبه بحية، ولم يحبنا على الإطلاق.. لا أنا ولا عمتي ولا أية واحدة منا.

– لذلك قمت بهذا العمل الانتقامي.

– لا. كان من حقه أن يتصرف مثل حمار عنيد، وكل ما فعلته هو أنني تحينت فرصة ما. فذات مساء بينما كانت زميلاتي تراجعن دروسهن في اللغة اليونانية استعدادا للامتحان ذهبت إلى ذلك العجوز.. أعني جدك.

– هل كانت لديك لمسات النمش آنذاك؟

– بالتأكيد لكن شعري كان قصيرا. وإذ تبينت عدم وجود أي إنسان هناك، دخلت الكوخ وهناك حملت كل أسلحته وذخيرته وقذفت بها جميعا في الماء.

– كلها؟

– حتى آخر قطعة منها.

– "كارولين" كان جدي يهوى الصيد، وينفق كل أمواله في شراء أسلحته ومعداته.

– علمت ذلك فيما بعد.. فاجأني وأنا أهرول فوق صفحة النهر، وأخرجني من القارب بدون أدنى مراعاة للأصول والآداب.

عض "جيفري" شفته، وآلمته معدته لشدة ضغطه عليها حتى لا ينفجر ضاحكا. إذ كانت تلك الواقعة خير كاشف عن شخصيتي بطليها.

– صدقني يا "جيفري جولدويل" كان ذلك الرجل صعب التعامل معه.

www.alkottob.com

– لقد أضعت عليه بضعة آلاف من الدولارات، ينبغي أن تعتبري نفسك سعيدة الحظ لأنه لم يغرقك على الفور.

– توقعت أن يفعل بي ذلك. فقد جذبني فوق سطح القارب، بينما كان يصيح بعبارات محمومة وإهانات جارحة. ياله من شخص شرس! كادت نظرات عينيه الضيقتين الشبيهتين بعيني النمس أن تثقبا جسدي. قال: إن مثل هذا العمل متوقع الحدوث من جيران في مثل بلاهة الراهبتين الكريمتين.

– عزيزتي.. لو كنت أنا الذي ضبطتك وأنت تفعلين ذلك لضربتك على ردفيك بقسوة تتذكرينها حتى يومنا هذا.

– لم أجرؤ على أية حركة؛ لشدة الخوف الذي ألصقني بالأرض. بدأت أرد عليه باللغة الفرنسية متظاهرة بأنني لم أفهم كلمة واحدة من الشتائم التي كان يقذفني بها، ولعبت عليه دور البريئة الثائرة.

– واستدعى الشرطة.

– ظل يصرخ بنفاد صبر، وقيدني بإحدى الأشجار يا "چيفري". لن أنسى ذلك اليوم قط.. ظننت أنه سوف يجمع حطبا ليحرقني فوق كومة منه.

أطلق "چيفري" ضحكة عالية:

– وواصلت حديثك بالفرنسية في حضور رجال الشرطة؟

– كان ينبغي علي ذلك؛ لأن رئيسهم كان أحد أصدقائه. عرض والدي مبلغا من المال من قبيل التعويض، لكن "راثبون" رفض أن يصغي إليه مطالبا برأسي.

فقال "چيفري":

– أراد بالأحرى أن تتحملي أنت المسؤولية الكاملة عن أفعالك. جربت ثورة غضبه ذات مرة وعرفت دوافعه إليها. لقد تربى على مبدأ من يريد أن يهذب فليعاقب.

– وانتهى بي الأمر إلى المثول أمام المحكمة، ونجح القاضي في

الاهتداء إلى اتفاق أمكنني بمقتضاه أن أبقى في دير القديسة "كاثرين" بشرط أن أقوم بسداد قيمة الخسائر التي تكبدها من الأموال التي أتقاضاها مقابل عملي هناك.

– وكم من الزمن استغرق هذا؟

– ثلاثة أعوام سددت له خلالها مبلغ ألفين وأربعمائه وخمسة وسبعين دولار.

– وهل علمتك هذه الواقعة درسا؟

ابتسمت:

– لا أعتقد ذلك. وغني عن الذكر أنه منذ تلك الواقعة لم يدع الوغد العجوز لنا مكانا في قلبه.

جلست بالقرب من "چيفري" وربتت ركبته برفق:

– دائما ما كان يعتبرك مفخرته الوحيدة. روى لي –دون أن يذكر اسمك– عن بعض نوادر عبثك، وكان مقتنعا بأنه قد أعادك إلى الطريق القويم متباهيا بذلك إلى حد بعيد.

سمعا صوت محرك شاحنة مزرعة "قوس قزح" ثم صوت أبوابها تغلق، وبعد ذلك ضحكات عالية.

اكتفت "كارولين" بأن قالت:

– لقد وصلت البنات.

قال "چيفري" فجأة:

– عديني بشيء ما يا "كارولين".

– سمه.

– امنعي عمتيك من دعوتي لمشاركتكن هذه الوجبة الخفيفة.

ضربته الفتاة على ظهره بحركة صداقة حميمة:

– لن يكلفك الأمر أكثر من أن تخبرهما بأنه ينبغي عليك العودة لإعداد وجبة طعام لك.

حك وجنته مومئا برأسه ومفكرا.

www.alkottob.com

– فكرة هائلة! لكن أليس من وسيلة آخذك بها معي؟

فقالت مبتسمة:

– أتمنى ذلك من كل قلبي.

وعندما استقرت عيناه عليها، سرت في جسده قشعريرة رغبة جامحة.

– وأنا أيضا يا "كارولين". صدقيني.

الفصل الثامن

وقفت "كارولين" بعد يومين تنتظر أمام عنبر الإقامة بالمعسكر عندما رأت "لوسي" تحتضن عددا من إحدى المجلات وهي تصيح:

– إنه هو.. إنه هو!

فأجابتها "أمبر" متمتمة:

– اصمتي. قلت لك إنك مخطئة.

وضعت الفتاة يديها على جانبي خصرها قائلة بضيق:

– هيا. أسرعا.

فقالت "لوسي":

– لكن يا "كارولين" تدعي "أمبر" أن...

– لا أريد أن أعرف ما تدعيه!

نظرت الفتاتان الصغيرتان فاغرتي فميهما إلى المدرسة دهشتين؛ لأنها لم تكن قد رفعت صوتها من قبل. ولو كانت الراهبتان مكانها لحاولتا بصبر أن تعرفا سبب مناقشتهما قبل أن تجدا له حلا وسطا. أما "كارولين" فقد قالت ما كان يدور بذهنها وهو أنها تسخر مما كانتا تتعاركان حوله.

كانت في الواقع تريد أن ترسخ هذه الفكرة بذهنيهما. قالت بلهجة آمرة:

– ارتديا شملتيكما.

عبست "لوسي" ووضعت المجلة فوق وسادتها، لكن زميلتها أرادت أن تكون لها الكلمة الأخيرة:

– ربما أن الأمر يتعلق بجارنا "جيفري جولدويل" لكنه ليس متزوجا.

– نعم؟

رفعت الصبيتان نحوها عيونا غير مصدقة، بينما سعلت الفتاة

www.alkottob.com

حتى تبدو في كامل هدوء الأعصاب. كان المطر يسقط على مدى يومين سابقين مرغما نزيلات المعسكر على البقاء بالداخل مما أصابهن بالتوتر العصبي والحقد، ولم تكن "كارولين" مختلفة عنهن.

ظنت الراهبتان أن سوء الحالة الجوية كشف عن الجانب غير المستقر من نفسية الصبايا. ولم يظهر "چيفري" إطلاقا وظل شاغلا تفكيرها رغما عنها، إذ إنه لم يبذل أدنى جهد حتى يلتقيا ومع ذلك رأت أن لقاءهما لن يكون بعيدا.

– عم تتحدثان؟

أجابتها "أمبر" بنبرة وقحة:

– عن "چيفري".

وأكدت "لوسي" حديث زميلتها بإيماءة من رأسها ثم أخذت المجلة:

– توجد هنا صورة له مع...

فمدت "كارولين" يدها قائلة:

– أعطيني المجلة.

وأطاعت "لوسي" الأمر على مضض.

على اتساع صفحة كاملة كانت هناك صورة رجل وسيم نحيف القوام، ذي شعر كستنائي وابتسامة ساحرة. كان ذلك "چيفري جولدويل" بما لا يدع مجالا لأدنى شك، ارتدى حلة رسمية "سموكن" ووقف مستندا إلى سيارة "چاجوار" فاخرة بيضاء متأبطا ذراع امرأة سمراء فاتنة. حتى لو لم تكن واحدة من أهم عملائه كان ينبغي أن يكون نزيل دير حتى لا يعرف "بلانش دياموند" التي قامت بدور البطولة في أحد المسلسلات الذي كانت "كارولين" تحرص على مشاهدته مساء كل خميس.

قال التعليق المكتوب أسفل الصورة: "هل تشير هذه اللقطة إلى عودة المياه إلى مجاريها الطبيعية بين "چيفري جولدويل" وكيل

الفنانين المشهور البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاما وزوجته السابقة الممثلة "بلانش دياموند"؟ فقد ظهر الزوجان معا على نحو أثار انتباه الجميع..

وإذ لم تتوفر لدى "كارولين" الرغبة في أن تقرأ المزيد، أعادت المجلة إلى صاحبتها وقالت بنبرة هادئة:

– لا داعي للمناقشة حول موضوع كهذا.

ثم استدارت وغادرت الحجرة. وقبل أن تطلب الفتاة منهما شيئا كانت الصبيتان مع بقية زميلاتهما قد وصلن إلى حقل جارهن وبدأن مهمة قطف الريحان.

ابتعدت الفتاة عن الجمع الصغير فقد أصاب –الإرهاق والإحساس بالوحدة، ويومان من الأمطار المتواصلة، والآن "بلانش دياموند"– أعصابها بتوتر شديد.

لماذا لم يذكر "چيفري" لها قط أن له زوجة؟ واقع الأمر أنها لم تعرف عنه سوى القليل النادر، باستثناء رغبتها في أن تراه وأن تلقي بنفسها بين ذراعيه.

أرادت أيضا أن يفسر لها أسباب وجود هذه الممثلة.. ولماذا رجل متزوج من امرأة كهذه من الممكن أن يتركها ويسعى إلى أخرى؟ ألم تكن أكثر من مغامرة بالنسبة إليه؟

– أوهيه!

اجتذبت صيحة الفرح هذه الأنظار إلى الجانب الآخر من الحقل وارتفعت نحو "چيفري" الذي أتى حاملا وعاء سوائل كبيرا، فقالت الأخت "چوزفين":

– آه.. ها هو السيد "جولدويل".

فأجابتها الأخت "چوان" وهي تبتسم للقادم الجديد بقولها:

– يا له من جار حميم. أتى ليقدم لنا مشروبا.

وإذ سعدت الصبايا بهذه الاستراحة غير المتوقعة، التففن من حول

www.alkottob.com

الزائر بينما ظلت الفتاة بعيدة تراقب المشهد مستمتعة به. انتقلت ضحكته إلى الجميع وأسعدتهن لكنها أثارت في نفس الفتاة موجات رغبة لا تقاوم.

مررت "كارولين" أصابعها فوق أزرار قميصها الأزرق ذي الأقلام التي حاكت لون بنطلونها القصير. اتكأت على عكازها الذي كانت قد كادت ألا تستخدمه، وشاهدته يوزع أقداحا من الورق المقوى مملوءة بالمشروب المثلج على الصبايا، عندما تعود إلى "واشنطن" سوف تعود إلى ارتداء ثيابها الحريرية والقطنية والتيلية وإن كانت المرآة التي يراها "چيفري" في تلك اللحظة -في هذا الرداء البسيط والشملة التي تغطي رأسها- أقرب إلى حد كبير إلى شخصيتها الحقيقية، وقد بدا أنه قد لاحظ ذلك لكن هل لاح بذهنه أن يقول لها ما أملت أن تسمعه؟

قال -بصوت حاد مفعم بالمشاعر جعلها ترتجف-:

- أراك رافضة الانضمام إلينا.

فقالت بنبرة مقتضبة:

- صباح الخير يا سيد "جولدويل".

فاجابها بنبرة مرحة:

- يمكنك أن تخاطبيني بـ"چيفري" الآن وقد عادت تحفك الصغيرة إلى القطف ولا يمكنهن أن يسمعننا.

التفتت الفتاة نحوه، حدثها بصوت خافت ممسكا بذراعها:

- ما الذي حدث يا "كارولين"؟

- رأت البنات صورة فوتوغرافية لك مع زوجتك على إحدى صفحات المجلات.

- زوجتي؟ لكنني لست متزوجا.

- سبق لك أن تزوجت "بلانش دياموند".

خيم صمت قاتل حولهما، وشربت "كارولين" قدحا من مشروب

عصير الليمون المثلج.

استطرد يقول بنبرة حادة مستندا إلى إحدى الأشجار:

- فهمت ما اتجهت أفكارك إليه، وإذا لم أكن مخطئا فقد تصرفت بحماقة إزاء هذا الموضوع، لم يدم زواجي من "بلانش دياموند" أكثر من ثمانية أشهر وكان ذلك منذ ثلاث سنوات، ولم يصبح بيننا أي شيء بعد ذلك.

- يدعي المقال غير ذلك.

- أعتقد أن هذه الصورة قد التقطت في تلك الأمسية التي أقيمت بمناسبة أول عرض لفيلمها الأخير. كان هناك جمع من المصورين وأرادت أن تظهر في جميع لقطاتهم.

- أووه!

- كفي عن التهكم. كان أحرى بك أن تقدمي لي المبررات الكافية لأفكارك المجحفة عني.

- "چيفري" كان من الواجب عليك أن تحدثني عنها.

- ربما، لكن "بلانش" كانت آخر ما يلوح بذهني في الأيام الماضية. اهدئي يا "كارولين" فهي لا تمثل تهديدا لك.

تنهدت الفتاة:

- من المفترض أن أضحك على تصرفي هذا.

- بكل تأكيد.

- لكن لا يراودني مثل هذا الإحساس، لأن كل ما أشعر به هو الارتياح الشديد.

لم يسعه إزاء كلماتها هذه سوى أن يبتسم. فبعدما انقضى أطول يومين في حياته تحرق شوقا إلى أن يضمها إلى صدره.

- ليس لدي ما أخفيه عنك.

- وأنا أصدقك.

- إنني آسف، إنك قد علمت بأمر "بلانش" من خلال هذه المجلة

www.alkottob.com

المتخصصة في نشر الفضائح. عندما تلتقين بها سوف تتفهمين أسباب عدم دوام زواجنا طويلا، ستعلمين أيضا السبب في أنني لا أمقت هذه السيدة.

لم يبعث في نفسها أدنى شك في أنهما سوف يظلان معا بعد انتهاء عطلتيهما. لكن "كارولين" لم تكن على استعداد للتفكير في كل تلك المعوقات التي كان من شأنها أن تفرق بينهما والتي بدت لها مستحيلة التغلب عليها. كان قريبا منها في ذلك الوقت الحالي باعثا بداخلها أحاسيس ومشاعر متأججة. لم تكن هناك أدنى أهمية لأي شيء ماعداه ولم تكن راغبة إلا فيه. كان هذا ما نطقت به عيناها بلا خجل أو حياء.

اقترب منها ،كم من الزمن ينبغي أن يصبر قبل أن يضمها إلى صدره؟ بلغت رغبته فيها حدا موجعا، لكن فكرة وجود اثنتي عشرة صبية يراقبنه من خلف الشجيرات ساعدته على التحكم في ذاته.

رأى من خلال نظرة جانبية خاطفة رداء الأخت "جوزفين" الرمادي ووجهها المبتسم وهي تقترب منهما:

– شكرا جزيلا على هذا المشروب المنعش يا سيد "جولدويل". إنه كرم وظرف من جانبك، ينبغي أن تنتهي بناتنا من عملية القطف بعد الغداء. هل دعتك "كارولين" للحضور معنا؟ نود كثيرا أن تكون بين مدعوينا.

فأجاب "چيفري" على الفور:

– سوف آتي بكل سرور.

فتحت الفتاة عينيها عن آخرهما دهشة، بينما أومأت الأخت "جوزفين" برأسها تعبيرا عن خالص سرورها ثم ابتعدت. عندئذ همس "چيفري" في أذن المدرسة قائلا:

– لا أهمية لأي شيء طالما ساكون بجانبك. وإني على استعداد أيضا لأن أتقبل نظرات هؤلاء المخلوقات الغريبة الشرهة إلي.

صاحت الأخت "جوزفين" ملتفة حول نفسها:

– أووه. سوف يضايقنا أن تترك لنا عصير الفاكهة. سوف تعيد ابنة شقيقي الوعاء إليك بعدما ننتهي من تناول ما به.

ارتسمت على وجهه ابتسامة غامضة على الفور:

– بكل تأكيد!

*****

كان كوخ "چيفري" على بعد حوالي كيلو متر من حقل الريحان... مسافة قصيرة لكنها كانت صعبة على فتاة تستعين على السير بعكاز حاملة وعاء ولانزال ركبتها في حالة من الضعف. ومع ذلك قررت "كارولين" أن تقطع المسافة سيرا على الأقدام مستغرقة في أفكارها تماما. فقد صدمت لرؤية تلك الصورة الفوتوغرافية بالمجلة، ولم تكن صدمتها راجعة إلى "بلانش" وحدها.. إذ كانت هناك السيارة "الجاجوار" الفخمة وتلك الحلة الرسمية "السموكن" الأنيقة، وتلك الأمسية الفخمة الراقية التي حضرها صفوة المشاهير والمجتمعات الراقية.. و"چيفري" الذي كان يبتسم بارتياح وتلقائية تامة. كل ذلك كان يمثل عالمه.. فكان مكانه هناك.

استرعى نظرها بينما كانت في طريقها إلى الكوخ شملتها غير الملتفة حول رأسها، وأصابعها التي كانت تحمل آثار القطف وكاحلاها وخدوش شجيرات الريحان التي كانت تعلوهما. وعلى الرغم من أن مظهرها كان على النقيض من مظهر نساء "لوس أنجلوس" إلا أنها كانت تنبض سعادة وزهوا بالعمل الذي أنجزته على مدى ذلك اليوم. كانت متعبة قليلا بلا شك، لكن إرهاقها كان من نوعية مستحبة.

لن يطلب منها من اختاره قلبها أن تتغير، ولم تعتزم هي مثل هذا

www.alkottob.com

التغيير قط. كل ما كان حولها نطق بالهدوء والجمال. كيف نجح "جيفري" في أن يصبح جزءا لا يتجزأ من عالمه؟ ابتسمت.. من المؤكد أن هذا المكان لم يمثل سوى جزء واحد من بيئته تماما، كما كان يقضي فيه عطلاته الصيفية عندما كان صبيا صغيرا بينما يعيش في "لوس أنجلوس" ويعمل بها وتعمل هي في "واشنطن".

كان قد قال لها: إن ما يريده هو أكثر من علاقة تدوم خلال عطلة الصيف، لكن كيف من الممكن أن تكون غير ذلك؟

وجدته لدى خروجها من غابة الشوح ممددا على شاطئ النهر، خفق قلبها بشدة. كيف يمكنها أن ترجو ما هو أكثر من علاقة عابرة؟

بعدما حمل عنها الوعاء جلس بجوارها وأمسك بيدها. وجد صعوبة في ألا يذعن لرغبته في أن يضمها إلى صدره.

سألها بنبرة مرحة:

– هل جرى كل شيء وفقا للمطلوب؟

– على أفضل ما يرام. والمحصول جيد إلى حد لا يصدق هذا العام.

وابتسمت مسترخية في وجوده.

نظر إلى أصابعها ثم استطرد قائلا:

– عملت كثيرا اليوم. هل قضيت وقتا جيدا؟

– نعم، لكنني كنت أفضل أن يكون معي شخص آخر غير أولئك الصبايا، لم أتوقف لحظة واحدة عن التفكير فيما كان يمكننا أن نفعله معا اليوم.

– حقيقة؟

ثم غمز لها بعينه مستطردا:

– في هذه الحالة يمكنك أن تعرفي ما كنت أحلم به وأنا راقد هنا.

وفي انتظار إجابة منها لمس ذراعها العارية قائلا:

– "كارولين" تعلمين حقيقة مشاعري نحوك.. أليس كذلك؟ عندما جئت إلى هنا لم تتوفر لدي نية الوقوع في الغرام، ولم أعتقد

أن مثل تلك الفرصة كانت مهيأة أمامي.

التقى بنظرتها في تلك اللحظة وتبددت المخاوف التي ألحت عليه على مدى تلك الساعات الأخيرة لتحل محلها رغبة جياشة ومشاعر غير قابلة للسيطرة عليها. لم تتمكن أية امرأة من قبل من إسعاده مثل هذه الفتاة الجالسة بجواره.

رفعت ذقنها قائلة:

– ربما هذا ليس حظا بل قدرا يا "جيفري".

ثم توقفت عن الكلام حتى تلمس شفتيه بأطراف أصابعها قبل أن تستطرد قائلة:

– هل يمكنك أن تقدر مشاعري نحوك؟ هل ينبغي أن أقول لك إنني لم أفكر إلا فيك طوال اليومين الماضيين؟

أخذها بين ذراعيه قائلا:

– أثبتي لي ذلك إذن يا حبيبتي.

بدا مرحهما أشبه بحلم سعيد أو برقصة، أو بمشهد مسرحي تكررت بروفاته حتى بلغ حد الكمال. توجها معا إلى الكوخ سيرا على الطريق الوعر كثير الحصى والحجارة، ولم يتعثرا مرة واحدة. لم يسمعا صوت حركة مياه النهر وأمواجه ولا تغريد الطيور ولا حتى دوي الرياح. تقدما نحو الكوخ وكأنهما سائران في حلم غير مصغيين إلا كل منهما للآخر، وكان كل منهما ملتهما الآخر بنظرات عينيه.

كان الجو لطيفا بداخل الكوخ واصطحب "جيفري" الفتاة إلى الحجرة حيث داعب وجنتيها بحنان، بينما شغلت هي بتأمل قسماته الواحدة تلو الأخرى: أنفه المستقيم وأهدابه السوداء الطويلة وحدود فمه الجميل. لم يبلغ وجهه حد الكمال لكنها لم ترغب في أكثر ممن كان أمامها.

قبل لمسات النمش بحرارة قبل أن يستأثر بشفتيها. وعلى الرغم من

www.alkottob.com

الرغبة التي كانت تغلي في عروقه اختار التأني حتى يستمتع كلاهما بسحر تلك اللحظة.

وتجاوبت "كارولين" مع قبلاته مشجعة إياه برفق حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه بعدما أمعنت كل حركة من حركاته في إصابتها بدوار لذة ملامسته، فاختفى كل أثر للتعقل والتأني وحوتهما حاجة ملحة لم يستطع أي منهما بل ولم يرغبا في أن يسيطرا عليها.

(مارسا الحب) معا وأحست "كارولين" للمرة الأولى طوال حياتها أن شخصا ما يحبها إلى حد نسيت معه كل شيء.. العالم والزمن وكل ما عداهما ولم تصبح هناك أدنى أهمية لأي شيء مهما كان عدا وجودهما معا والسعادة التي شملتهما.

رمقها "جيفري" بابتسامة مشرقة وطدت ثقتها بذاتها وأكدت لها أنه الرجل الذي تود أن تقضي معه بقية عمرها.

www.alkottob.com

الفصل التاسع

- ينبغي أن أعود إلى المعسكر في الرابعة؛ لأجري لهن اختبارا في اللغة اليونانية.

سعد "جيفري" لأنه رأى وجنتي "كارولين" مشوردتين نابضتين بالحياة ونضارة الوجود.

قال بنبرة متهكمة:

- يا للخسارة! وأنا الذي أعددت مشروعات أخرى بذهني..

نظر إلى ساعة معصمه ثم لوى فمه:

- لم يبق لنا وقت طويل معا.

- هذا ما كنت أخشاه.. ولا أريد لعمتي أن تقلقا علي.

- أو أن تتساءلا عم عسى أن تكوني بصدد فعله؟

- من المؤكد أن الشكوك تراودهما. لم أقل لهما شيئا لكنهما أبعد ما تكونان عن السذاجة.

- خاصة بعدما قضتا ثلاثين عاما في تقويم هؤلاء الصبايا.

فقالت الفتاة ضاحكة:

- هؤلاء الصبايا؟ لابد أنك محق. فطيبة قلبهما وذكاؤهما وإيمانهما يساعدهما على مواجهة أي شيء. حاولت أن أكون مثلهما لكن دون جدوى بكل تأكيد.

فقال "جيفري" معترضا -عندما تذكر هدوء الأعصاب والرزانة التي تعاملت الفتاة بها مع الموقف وسط التيارات المائية-:

- ربما لا. لكن على الرغم من الحب الذي تكنينه لعمتيك ولهؤلاء الفتيات الصغيرات ينبغي أن تبدئي الآن التفكير في صالحك الخاص.

- لا أدري بحق. لكنني قدمت خدماتي لمزرعة "قوس قزح"؛ لأنها بدت لي المكان الوحيد الذي يمكنني أن أكون ذات فائدة فيه ولهذا السبب بذلت كل جهدي في خدمتها.

صمت "چيفري" متأملا إياها بإعجاب. استطردت قائلة:

– دائما ما أخلق لنفسي المتاعب وكل ذلك حتى أثبت للجميع أنه على الرغم من أن والدي ذو رتبة كهنوتية مرموقة وعمتي راهبتان إلا أنني يمكنني أن أواجه مصاعب وأتعرض لأخطاء مثل قريناتي أو أكثر منهن.

– وقد نجحت.

فابتسمت قائلة:

– وبإمكاني أن أتصرف بفظاظة عندما أريد ذلك.

فغمز لها بعينه قائلا:

– لدي فكرة عن ذلك.

استطردت الفتاة قائلة:

– على أية حال كل ما فعلته هو التمرد على ما ينتظره المجتمع مني، سواء كان متمثلا في الأسرة أو المربية أو الأصدقاء أو حتى أعضاء المجتمع الكنسي الإنجليكاني. كل ما سعيت إليه أن أكون "كارولين جراي" حتى إنني محوت هويتي الحقيقية لأنني أعتبر قبل كل شيء ابنة أحد الأساقفة...

فقال "چيفري":

– وبصفتك أيضا فتاة فقدت والدتها في سن مبكرة جدا.

أومأت برأسها:

– نعم. هذا أيضا كان له أثره علي. إنني آسفة على أنها لم تشاهدني وأنا أكبر، أحتفظ بذكرى غير واضحة عنها، لكنه لا يسعني إلا أن أكبح دموعي كلما أفكر فيها.

– لابد أن كل هذا صعب عليك عندما بلغت الثانية عشرة.

فقالت ضاحكة:

– بدا كل ذلك معقدا ومستحيلا في هذه السن.

– كيف أمكنك تزوير التذاكر الطبية؟

رفعت "كارولين" كتفيها مومئة برأسها ثم قالت:

– ببساطة شديدة. كانت لي ثلاث صديقات تكبرنني سنا تتعاطين عقاري الـ"پيركودان" والـ"ليبريوم" المخدرين.

– أووه!

– فهمت ما يلي؟ وبصفتي الأصغر منهن أردت إبهارهن. ومن جانبهن حاولن استغلالي اعتقادا منهن أن حجمي الصغير سوف يسهل لي عملية الفرار. وسقطت في الفخ بسهولة مذهلة.

استرخى "چيفري" فوق مقعده:

– أوهمنك بأنهن يحاولن الإقلاع عن تعاطي المخدرات، وأنه تلزمهن بضع جرعات محدودة تساعدهن على التخلص من إدمانهن.

– بالضبط. بدون مقنعات جدا ومؤثرات جدا.

– مثل سائر المدمنين. لهم موهبة استغلال الآخرين للوصول إلى أهدافهم والحصول على قمة متعتهم بأية وسيلة كانت.

رمقها بابتسامة غريبة:

– تذكري أنني أعمل في "هوليوود". بولاية "كاليفورنيا" الواقعة في الجنوب.. على مسافة خمسة آلاف كيلو متر.

توترت أعصابها، ثم قالت بقدر من التحفظ المفاجئ:

– أعتقد أنك تواجه مثل هذه المواقف يوميا.

– لا.. لكن نعم. ما الذي حدث يا "كارولين"؟

– أصبحت الساعة الرابعة وينبغي أن أعود، "چيفري"..

أمسك بيدها:

– ما الذي حدث يا حبيبتي؟

– لا شيء. أو بالأحرى كل شيء يجري على غير ما يرام. هذا اليوم يعني لي الكثير وهذا ما أود أن تعلمه.

قبل أطراف أصابعها ثم قال بصوت كله حنان:

– ولي أيضا.

*****

www.alkottob.com

وفي اليوم التالي ألغيت جميع الأعمال اليومية حتى تتمكن الصبايا من التركيز على الاستعدادات الخاصة بالاحتفال بعيد الريحان، إذ كان ينبغي أن يشتركن جميعهن في هذا العمل ويبذلن أقصى جهودهن لإنجاح الاحتفال.

قالت "كارولين" -محدثة "چيفري" الذي كان بصحبتهن-:

- لن يأتي فارس لمساعدتهن.

فابتسم قائلا:

- هذا ما سيخيب ظنهن.

- سيصيبهن الفشل بصدمة في مثل خطورة ظهور "بلانش دياموند" فجأة وسط عدد من صبية الثانية عشرة.

كانت قد تحدثت بتلقائية تامة، لكن قبضة السائق استقرت فوق يدها حيث قال:

- ليس ثمة ما تخشينه من جانب "بلانش". لم نعش معا سوى بضعة أشهر معدودة، وما إن تبينا الخطأ الذي ارتكبناه حتى قررنا أن نضع لعلاقتنا نهاية. ولعلمك الخاص إنها ممثلة متميزة في عملها وفي قواها الذهنية. ومع كل ذلك أصبحت علاقتنا ماضيا وتاريخا.

وعندما تركها "چيفري" وعدها بألا يشغلها عن بناتها ولا عن إشرافها عليهن خلال ذلك اليوم الحاسم ثم أضاف:

- لكنني أود أن تقومي بإجازة معي إلى مكان ما نكون فيه وحدنا، عمتاك قادرتان على التصرف بدونك بلاشك.

اقتضى وصولهما متأخرين إلى مزرعة "قوس قزح" لمراجعة اللغة اللاتينية مع البنات أن تقدم مبررا لذلك. أوفى "چيفري" بوعده ولم يظهر على مدى المدة التي استغرقتها الترتيبات. وطال تفكير "كارولين" فيه وتساؤلاتها .هل مازال يفكر فيها بعد ظهيرة اليوم السابق التي كانا قد قضياها معا؟

دائما ما كانت الفتاة تشارك في الإعداد لهذا العيد ومنذ زمن

طويل. فعندما كانت طفلة صغيرة كان والدها يأتي بها إلى "بيركشير" كي تقضي اليوم مع الراهبات والنزيلات. ففي نطاق الأسرة كان عدم المشاركة في الاحتفال بهذا العيد مساويا لعدم الاحتفال بأعياد الميلاد.

أما في هذا اليوم فقد عاودتها ذكرى لمسات "چيفري" لجسدها. تساءلت عم كانت تفعله هناك بين هؤلاء العاصيات الصغيرات بدلا من أن تكون بين ذراعي حبيبها. رأت أنه كان محقا فيما قاله من أن عمتيها يمكنهما الاستغناء عن وجودها معهما. لو كان فقط يأتي ويأخذها الآن..

لكن إلى أين؟ إلى "واشنطن".. "كاليفورنيا" أو أي مكان آخر يقضيان الوقت فيه في ممارسة الحب، ثم ما الذي من شأنه أن يحدث بعد ذلك؟

"نهاية أولى علاقاتي العاطفية بلاشك".

- "كارولين"؟

وضعت الأخت "جوزفين" يدها فوق ذراع الفتاة برفق:

- أنت بخير؟

- نعم. بكل تأكيد.. وفي غضون خمس دقائق ستكون الفطائر قد نضجت.

وابتسمت حتى تبدد الأفكار التي ألحت على ذهنها.

استندت الأخت "جوزفين" إلى إحدى المناضد، وبدأت تتأمل وجه الفتاة بهدوء وأناة أحالا تظاهرها بالمرح وكذبها إلى أمر مستحيل، تنهدت "كارولين" لأنها حتى ذلك اليوم لم تعتبر نفسها وحيدة وهي بصحبة عمتيها.

قالت الراهبة بنبرتها الهادئة المعتادة:

- لاحظت "أمبر" أنك صامتة جدا وتعتقد أن "چيفري" هو السبب في ذلك. دائما ما لاحظت أنها صبية شديدة الذكاء. ما

www.alkottob.com

رأيك في هذا؟

خفضت الفتاة رأسها لتقول:

– إنها محقة بشأن هذه الحالة التي نحن بصددها.

– كنت أظن ذلك. ذكرت الأخت "جوان" أنها لم ترك قط تنظرين إلى رجل بالأسلوب الذي فعلته في ذلك اليوم وسط تيارات الماء. أما أنا فلم ألاحظ ذلك سوى بالأمس أثناء جني الريحان.

– لا أستطيع أن أفهم ما قد أصابني.. لا أعرفه سوى منذ ستة أيام و...

توقفت "كارولين" عن الحديث حيث أتت حركة معبرة عن اليأس- بيدها فأجابتها عمتها مبتسمة:

– ولماذا تسعين إلى أن تفهمي. اتركي نفسك على طبيعتها حتى تعرفي حقيقة مشاعرك نحوه. لا. لا تقولي لي شيئا. بل قوليه لنفسك وقوليه له، "كارولين" أصبحت تبلغين الثامنة والعشرين، وأصبح واجبا عليك أن تتصرفي كبالغة مسؤولة. هذا كل ما لدي أن أقوله لك الآن بصفتك واحدة من بناتنا، رغم أنك لم تصبحي الآن بحاجة إلى مساعدتي في اتخاذ قرارك.

وقبل أن تسنح الفرصة لـ"كارولين" للرد عليها دوى الناقوس المؤقت وأصبح من الواجب عليها أن تخرج بقية المخبوزات من الفرن. وعندما رفعت رأسها تبينت أن عمتها قد مضت.

كانت الأخت "جوان" بالخارج تقسم الصبايا إلى فريقي "بيسبول". خرجت الفتاة بروح مرحة للانضمام إليهن.

أوقف "جيفري" شاحنته بالقرب من قاعة الطعام بينما كان فريق كرة "البيسبول" يلعب مباراته. كان قد وعدها بالا يأتي وقد احترم وعده لها حتى جاءته تلك المكالمة الهاتفية من "كاليفورنيا". تمنى لو أنه لم يرفع السماعة ويتلقى المحادثة حتى لا يضطر إلى أن يخبر "كارولين" بأمر عودته إلى "لوس أنجلوس" في نفس المساء.

عندما بدأ يقترب من مكان المباراة بدأت البنات مناقشة حول إلى أي من الفريقين سوف ينضم. فرفع يده مطالبا إياهن بالصمت قائلا:

– يؤسفني أنه ليس بإمكاني الانضمام إلى أي من الفريقين لأنني..

وصمت تماما.. لأنه كيف يمكنه أن يعلن أمام الجميع أنه يأمل أن تتاح له فرصة التحدث مع "كارولين" على انفراد؟ هذا بينما كان عنصر الوقت مهما جدا حتى يتمكن من اللحاق بآخر طائرة تقلع من "بوسطن"، التفت إلى الأخت "جوان" وكانت ممسكة بالمضرب:

– إنني آسف على هذا الإزعاج. تسمحين لي بأن أكون على مجرى الأحداث لأن السبب الذي حدا بي إلى المجيء يمكن إرجاؤه قليلا..

– بكل تأكيد. سعدنا برؤيتك. ربما أمسكت لنا سجل الأهداف؟

وقبل على مضض، لأن الفتاة كانت تلعب بالخارج مرتدية بنطلونا قصيرا وقميصا تائيا مثيرين. كان يأمل أن يجدها في المطبخ حتى يكون معها بمفرده.

اقتربت "كارولين" منه بعد بضع دقائق أخرى من اللعب فبادرها بقوله:

– أتمنى لك يوما سعيدا. سوف يخسر فريقك المباراة.

– ماذا تفعل هنا؟

نظر إليها من خلال عينين طارفتين. حاولت الفتيات متابعة المشهد، لكنهن كن مضطرات إلى أن يولين كل الاهتمام إلى المباراة.. وإلى الراهبتين على حد سواء.

قال بنبرة جشاء:

– تلقيت مكالمة هاتفية بعد ظهر اليوم يا "كارولين". يتعين علي التوجه إلى مكتبي غدا للوفاء بموعد مع موكل مهم. سوف أرحل الآن.

– هذا المساء؟

www.alkottob.com

– هناك رحلة جوية في الساعة الواحدة والعشرين. وإنني آسف يا حبيبتي. بذلت كل ما باستطاعتي حتى لا أذهب، لكن لم يصبح أمامي بديل. لا أريد أن أتركك.

أومأت برأسها في أسى قبل أن تقول بصوت منكسر:

– ينبغي أن يحدث هذا إن عاجلا أو آجلا.

لماذا وقعت في حب هذا الرجل الذي يعيش على الجانب الآخر من البلاد؟ لأنها تحبه. ليس فقط لأنه يشغل تفكيرها ليلا ونهارا وتحب أن تكون معه طوال الوقت وأنها أصبحت أسيرة حنانه، لكن لأنها أحبته بكل كيانها وبكل حرارة المشاعر. كل هذه الظروف جعلت الأمر غاية في الغرابة؛ لأنهما لم يكونا قد التقيا سوى منذ أقل من أسبوع واحد.. ومع ذلك لم يكن بوسعها أن تنكر الواقع أو تنفيه.

والآن سيعود إلى "لوس أنجلوس".

– ألن تعود إلى هنا؟

– ليس في هذا الصيف.

وإذا لم يمكنه أن يجعل من تلك الظروف شيئا مقبولا بقدر أكبر فضل أن يتمسك بنزعة فاترة، فقد مزق الأسى الذي رآه في عيني "كارولين" نياط قلبه. قال لها متنهدا:

– أريد ألا أحرم من رؤيتك.

– كيف؟

– ليست لدي أدنى فكرة الآن، لكن لابد أن أهتدي إلى وسيلة ما. وأرجوك أن تتأكدي من أنني رافض فكرة أن ينتهي ما قد عشناه معا.

نادتها البنات لأن وقت أخذها المضرب كان قد حان. ذهبت الفتاة إليهن وقد ملأت عينيها دموع، قررت أن تكبحها على الفور.

رفع "جيفري" كتفيه كابحا رغبة في أن يفتح لها قلبه.

قال –محدثا الأخت "جوزفين"–:

– أنا مضطر إلى الرحيل هذه الليلة.

فصاحت الراهبة آسفة بصدق:

– يا للخسارة! وكيف ستتحمل "كارولين" ذلك؟

كانت الراهبتان على علم تام بما كان يجري إذن.

– هذا ما أود أن أعرفه.

– دائما ما ارتأيت أن هذه الفتاة ستقع في حب من النظرة الأولى. فعلى الرغم من ميولها الاندفاعية دائما ما كانت على علم بما أرادته.

تحدثت الراهبة بصوت هادئ أقرب إلى الحزن. وجهت نظرها نحو أرض الملعب ثم قالت:

– أراهن على أنها تريد في هذه اللحظة أن تقذف بهذه الكرة إلى "بوسطن".

ارتسمت على وجه "جيفري" ابتسامة ذابلة، لأنه كان من شدة الحزن بحيث لم يمكنه أن يضحك. فكم أراد أن يظل بجوار الفتاة التي يحبها وإن كان يجهل السبيل إلى ذلك.

قال بنبرة خافتة:

– أرفض أن تضيع مني.

جثت الأخت "جوزفين" فوق العشب بجواره مهمومة بأسى ابنة شقيقها.

– بكل تأكيد. لكن عليك أن تلحق بطائرتك.

– نعم ولكن..

– وينبغي أيضا أن تنهي "كارولين" هذه المباراة وتساعد في احتفال الغد. وعلى الرغم من أنه يمكننا التصرف بدونها إلا أن من الأفضل أن تبقى هنا وأن تعود أنت إلى "كاليفورنيا" حيث يكون لديك متسع من الوقت للتفكير.

– لكن كنت أود أن أقضي مزيدا من الوقت معها الآن..

– لكن الوقت الذي تريده غير متوفر لك الآن.

www.alkottob.com

التقى "چيفري" بنظرة الراهبة. رأى أنها محقة فيما قالت، فهم في تلك اللحظة ما كانت الفتاة تعنيه بقولها: إن عمتيها لم تكونا ساذجتين، فكانتا تواجهان الحقيقة بكل شجاعة ثم تعملان على مداواة الأمور فيما بعد.

ظل "چيفري" يراقب الفتاة بينما كانت تلعب، وقبل أن يرحل رمقها بابتسامة، أجابته بمثلها وقد نطقت عيناها بالآمال.

– يا أختي الفاضلة هل تسمحين بأن تبلغيها بانني سوف أتصل بها هاتفيا بعد العيد؟

– بكل تأكيد. أتمنى لك رحلة سعيدة!

عندما عاد إلى شاحنته سمع صيحات خيبة الأمل من البنات، التفت نحو الخلف مرة أخيرة فرأى أشعة الشمس تضيء شملة "كارولين" الزرقاء. قال محدثا نفسه: "لا.. لن يمكنني أن أنساها قط. وينبغي أن أراها ثانية بغض النظر عن الوسيلة التي أنتهجها.

الفصل العاشر

جلست "كارولين" في مساء اليوم التالي مع عمتيها ووالدها الموقر "جراي" يتناولون الشاي عندما دق ناقوس الهاتف، وذهبت الأخت "چوان" لتجيبه بحجرة مكتبها ثم عادت لتقول:

– "چيفري" يطلبك يا "كارولين".

كادت أن تقلب صينية الشاي في تعجلها وسأل والدها:

– "چيفري" من؟

وأجابت الأخت "چوان":

– "جولدويل".

وقالت الأخت "چوزفين":

– حفيد "سيث رائبون".

– نعم. شاب أسمر نحيف.. كان مولعا بإنفاق أموال التبرعات في شراء الحلوى.

– يعمل في "هوليوود" حاليا.

– لا غرابة في ذلك.

أغلقت "كارولين" الباب من خلفها قبل أن تأخذ السماعة:

– آلو؟

– "كارولين" حبيبتي.. أفتقدك كثيرا.

كان مجرد سماع نبرة صوته كافيا لأن يهدئها ويطمئنها:

– إنني سعيدة بأن أسمع صوتك. إنني أفتقدك بنفس القدر أيضا. إنني.. كيف تجري الأمور في "كاليفورنيا"؟

– الجو حار جدا في "لوس أنجلوس" وأشعر بوحدة قاتلة. هل مر احتفالكم على خير؟

– نعم، لكن ذهني كان دائما في حالة هيام على بعد خمسة آلاف كيلو متر من هنا.

www.alkottob.com

– وروحي أيضا.

تحدث بنبرة رزينة، لكن رقتها أضفت على كل كلمة قالها وزنا أكبر:

– واقع الأمر أن هذا الموعد الذي اضطررت إلى السفر من أجله لم يكن بالأهمية لتركك يا "كارولين".. هل تلتمسين لي العذر في رحيلي المفاجئ؟

ابتسمت أمام السماعة ثم قالت:

– "جيفري" لو كان "بيتر ماجان" قد طلب مني العودة إلى "واشنطن" ما ترددت لحظة. اتصالك الهاتفي هذا يسعدني إلى أبعد الحدود.

– تصورت أنني لن أتصل بك؟

فقالت بصوت منكسر:

– لاحت الفكرة بخاطري.

وفجأة تنبهت إلى ما حولها من جدران عارية وأثاث عتيق ففضلت أن تتصور البيئة المحيطة بـ"جيفري" في "لوس أنجلوس".

– "جيفري" يعلم كلانا أن من الأسهل أن نضع نهاية لكل هذا الآن.

– حتى تصبح علاقتنا مغامرة عاطفية صيفية؟

بدت كلماته لاذعة، وعلى الرغم من القول الذي اختنق بحلق "كارولين" نجحت في أن تجيبه بقولها:

– تدرك جيدا ما أعنيه.

فقال:

– نعم. لسو الحظ، "كارولين" تريدين بحق أن ننهي ما بيننا ونمحو ما عشناه معا؟

– لن أنساك أبدا.

– ولا أنا. وطالما أن الحال كذلك فالأفضل ألا نتحدث عن إنهاء

العلاقات وأن نحاول أن نجد لنا حلا ما.

– هل هذا ما تريده بحق؟

– أكثر من أي شيء في العالم.

– لماذا لم تخبرني بأنك تعرف والدي؟

– لأنني لم أكن قد تعرفت إليه. كل ما أذكره عنه هو أنه رجل وقور طويل القامة. لم نكن مواظبين على الذهاب إلى الكنيسة وإن كانت والدتي تأخذني إلى هناك بصحبة خالتي "سيلفيا" ورحلنا عن الإسكندرية عندما كنت في السابعة من عمري.

ثم انفجر ضاحكا:

– هل لك أن تتصوري أننا لو لم ننتقل من ذلك البلد لكنت قد التقيت بك وأنت طفلة في اللفة.

– "جيفري" هل تعلم إلى أي مدى قد أسعدتني؟

حدثها بنبرة مغوية:

– كان بوسعي أن أفعل ما هو أكثر لو كنت معك، "كارولين" لا أريد أية امرأة غيرك. لا تنسي ذلك أبدا.

– حتى لو رأيت صورا لك بالصحف؟

– الظروف تفرق بيننا في الوقت الحالي، لكنني لا أكف عن التفكير فيك. لشديد الأسف إنهم يطلبونني على الخط الهاتفي الآخر. هل لا يمكنك بحق أن تتحرري من مسؤولياتك وتأتي إلى هنا لقضاء بضعة أسابيع معي؟

– لا أدري.

خفق قلبها بشدة وتندت يداها بحبات العرق إذ تبينت كم كان يفكر فيها ويطلب منها اللحاق به.. اضطربت تماما.

– ولم لا؟ قرري بسرعة.

– "جيفري"..

– حبيبتي.. فكري في اقتراحي هذا، وسوف أتقبل قرارك أيا كان؛

www.alkottob.com

لان أمامنا سنوات سوف نعيشها معا. "كارولين".. أعتقد أنني قد وقعت في غرامك.

ثم أنهى المكالمة.

تماسكت الفتاة وعادت إلى الحجرة حيث اتخذت مكانها أمام المائدة. فأصبحت بين الذين تحبهم أكثر من أي إنسان في العالم ومع ذلك لم يغب "جيفري" عن ذهنها لحظة واحدة فهو وحده الذي يمكنه أن يملأ ذلك الفراغ الموجع الذي تعانيه. لكن مسافة لا تقل عن آلاف الكيلو مترات تفصل بينهما.

ملأتها الشقة التي أوحى بها إليها بالأمل لكن الشكوك لم تتخل عنها تماما. فقد قضيا معا أوقاتا قصيرة جدا ولا يستطيع أحد أن يتكهن بموعد لقاء جديد يجمعهما، فمن الممكن لهذا الفراق أن يطفئ لهيب الرغبة التي يحسها كل منهما تجاه الآخر بحيث لا يبقى منها سوى ذكرى عادية ووعود لم تتحقق قط.

قال "أليستير جراي" -محدثا ابنته وهو يقدم لها قدح شاي-:

- تبدين متعبة..

أومأت برأسها تأكيدا لرأيه ثم قالت:

- كان هذا اليوم عصيبا بالنسبة لنا.

- هذا صحيح. لحسن الحظ أن الأسبوعين المتبقيين أكثر هدوءا وبذلك يمكنك استغلال بعض الوقت في الراحة، "ماجان" يرهقك بكثرة التجول في البلاد.

نظرت إلى والدها الذي تحبه وتحترمه فرأت في عينيه تعبيرا غامضا، أضفى مظهر الرجل وبنيته ودماثة طباعه عليه وقارا ملحوظا، أكده شعره الأبيض الذي جذب أفراد رعيته إليه، فكان قادرا على أن يشيع من حوله حبا ورقة، ويعرف متى يتوخى الصرامة ومتى يعطي الدفء. كانت الفتاة في تلك اللحظة على استعداد لأن تقسم على أنه قد أحيط علما بأمر "جيفري".. وأن هذا ما كان يشغل تفكيره.

أجابته بقولها:

- أحب عملي. لكن ربما تكون محقا فيما قلته. ينبغي أن أفكر في عمل مختلف..

لكن كيف سيمكنها مساعدة أولئك القاصرات إذا تخلت عن ارتباطاتها لتسرع إلى "كاليفورنيا" سعيا وراء الرجل الذي أحبته؟ نعم.. إن "جيفري" يمثل الكثير بالنسبة لها، لكن هل من الواجب أن تنسى في سبيله واجباتها تجاه هؤلاء البنات وما عليها تجاه الأسرة؟.. وبالأكثر تجاه ذاتها؟ لا.. لن ترحل وتترك كل هذا من ورائها.

استطردت تقول مبتسمة:

- الآن وقد استعدت قدرتي على السير لي رغبة في أن أصحب الفتيات الصغيرات لتسلق الجبال في الأسبوع القادم.

- وبعد ذلك؟

دفع بها بتعليقه هذا إلى أقصى حدود الاحتمال لكنها احتفظت بمقاومتها:

- وبعد ذلك أعود إلى عملي بمؤسسة "ماجان".

- ثم؟

- أبي.. هل تحاول الضغط علي حتى أحدثك عن "جيفري"؟

فأجاب "أليستير جراي" بلا لحظة تردد:

- نعم.

- بلغت الثامنة والعشرين كما تعلم.

فقال الأسقف في نفسه: إنها محقة فيما تقول. هذا الشاب يعمل في "هوليوود" وهو حفيد "سيث راثبون"، في أي من الوجوه من الممكن أن يشبه ابنتي؟ لن يضحي قط بما لديه، لكنه سوف يطالب "كارولين" بأن تضحي بكل شيء من أجله. ولأي سبب من أجل رجل لم تعرفه لأكثر من أسبوع؟

فقالت الأخت "جوان":

www.alkottob.com

– "اليستير" لا تكن متزمتا إلى هذا الحد. لا ينبغي أن تتدخل في أمور ابنتك إلى هذا الحد.

رمق الأسقف شقيقته الكبرى بنظرة جانبية فتبين أنها كانت تبتسم.

– هل هو شاب مناسب إذن؟

فأجابته الراهبة على الفور:

– مناسب جدا. لقد أنقذنا جميعا من الغرق.

رفرفت ابتسامة على شفتي "اليستير جراي" عندما قال:

– لدي إحساس بمؤامرة تحاك ضدي.

– إننا نحاول ببساطة تامة أن نفتح عينيك على الحقائق.

نظر إلى ابنته وربت يدها برفق:

– كل ما أريده هو سعادتك ولا شيء غير ذلك.

– أعلم يا أبي.

*****

لازمت الفتاة أحاسيس التعاسة بنهاية الأسبوعين حيث فقدت مكالماتها الهاتفية مع "جيفري" لذتها، بسبب تدخل شخص ما أو شيء ما لإزعاجها وعدم اكتمالها.

وضعت "كارولين" طرودها في مقدمة سيارتها "الأودي" البيضاء وكانت الراهبتان والنزيلات قد ركبن الشاحنة للعودة إلى "الإسكندرية"، وبذلك لم يسمع بمزرعة "قوس قزح" سوى صوت الأمطار الغزيرة. راود الفتاة إحساس بأنها تترك شيئا ما من ورائها، فقد افتقدت "جيفري" بشدة. ماذا من الممكن أن يكون فاعلا في صباح السبت؟ لم تكن الساعة قد قاربت السابعة صباحا في "كاليفورنيا". رأت أن ذلك متوقف على نوعية الأمسية التي يكون قد قضاها بالأمس.

طردت من ذهنها هذا الشك المؤلم، واتخذت مقعدها خلف عجلة القيادة، بحلول المساء ستكون قد وصلت إلى بيتها في "واشنطن" واستأنفت حياة الوحدة.

*****

عند مفترق الطرق بالقرب من سفح التل لاحظت الفتاة وجود خيال جالس تحت إحدى الأشجار، قررت أنه لابد أن يكون رجلا متعبا. هبت رياح باردة على تلك البقعة المكشوفة صباح ذلك اليوم من أيام الخريف.

أشفقت "كارولين" على الرجل تلقائيا متسائلة عم إذا كان سيرفع إبهامه راجيا إياها أن تتوقف له. سوف يضطر إلى الانتظار ساعات طويلة قبل أن تمر سيارة أخرى على ذلك الطريق.

عندما نهض حولت بصرها بعيدا عنه، إذ أحست برغبة مفاجئة في أن تكون بمفردها، لكنها فوجئت به واقفا في عرض طريقها، كبحت حركة السيارة في اللحظة الأخيرة بحيث لم تفصل مابينه وبينها سوى بضعة سنتيمترات.

ألقى الشخص المجهول بما معه إلى ما فوق المقعد الخلفي فسألها:

– إلى أين أنت ذاهبة؟

– إلى "واشنطن". وأنت؟

ثم رمقها بابتسامة عذبة بينما قال:

– وأنا أيضا.

– كدت أن أدهمك..

وفجأة كبحت المفاجأة والفرحة أنفاسها:

– أووه "جيفري"..

www.alkottob.com

والقت بنفسها بين ذراعيه، وكانتا قويتين دافئتين كما عهدتهما، أيقظ بداخلها جميع الأحلام والأماني، التقت شفاههما وكان لفمه مذاق أمطار نهاية الصيف. التصقت بصدره بلا خجل وأحست بدفء مشاعره نحوها فاستجابت إلى نداء جسده بحرارة فراق الأسابيع وبمفاجأة لقائهما غير المتوقع.

وفي ذروة عبثهما بدأت السيارة غير المعشقة تنحدر نحو النهر فمد "چيفري" يده مسرعا إلى عجلة القيادة حيث أدارها جهة الشمال قائلا:

– كاد الأمر أن ينتهي بنا إلى الانتحار.

تولت "كارولين" على مضض العناية بالسيارة حيث أوقفتها على جانب الطريق ثم قالت بابتسامة مشرقة:

– حسنا يا "چيفري جولدويل" الآن وقد عرفت أسلوبي في التقاط من لا أعرفهم على الطريق ما رأيك في هذا؟

– رأيي هو أنني تواق إلى أن أجذبك إلى خلف هذه الشجيرات و...

– الأمطار غزيرة.

– كنت أعلم أنك ستقولين ذلك.

لاحت بذهن الفتاة صورة غمرت عمق كيانها في موجات متعاقبة من الدفء، لكنها رمقته بنظرة جادة ثم قالت:

– "چيفري" ما الذي أتى بك إلى هنا؟

استند إلى الخلف فوق مقعده ثم رفع كتفيه قائلا:

– ينبغي أن أتوجه إلى "نيويورك" في رحلة عمل الأسبوع المقبل، وبناء على ذلك أردت أن أرتب لك مفاجأة. لم يقع بصر نزيلاتكن علي؛ لأنني نجحت في الاختباء برهة خلف إحدى الصخور ألا ترين أنني مبالغ في زهوي بذاتي؟

– لم أردك غير ذلك.

– توافقين إذن على اصطحابي معك إلى "واشنطن" حتى نقضي يوم غد معا؟

ثم امتدت يده إلى وجنتها حيث لمستها برفق قبل أن تواصل السعي إلى صدرها.

قالت بصوت خافت:

– يا له من سؤال مفعم بالغباء.

*****

توترت أعصاب "كارولين" عندما فتحت باب شقتها. فقد تضافرت عوامل عدة منها إرهاق القيادة، وقرب ذلك الرجل الذي تحبه والوعد بما سيكون بينهما، وذبذبة المحرك، تضافرت جميعا لإلهاب أحاسيس الفتاة إلى حد إصابتها بالدوار حتى إنه إذا ما لمسها "چيفري" في تلك اللحظة فسوف تنهار تماما.

لكنه لم يفعل شيئا من هذا، بل تجول في شقتها ذات الحجرتين الكائنة بالطابق الثالث من مبنى قديم مشيد من الحجارة المهياة. كانت الأرضية من "الباركيه" والمدفأة من الرخام والجدران مطلية باللون البيج الذي أضفى على المكان إشراقا ودفئا. كانت قد اختارت أثاثها من عهد حرب الانفصال، أضافت إليه بعض التحف التي كانت يوما ما ملكا لوالدتها واختارت لها مكتبا من الطراز القديم. كانت حجرة الاستقبال الفسيحة إلى حد معقول مطلة على الطريق. أما المطبخ فكان ضيقا إلى حد ما؛ لأن أسعار المساحات كانت ملتهبة بالساحل الشرقي.

قال "چيفري" معلقا:

– ظريفة جدا! تطابق ما كنت أتوقعه إلى حد ما. منذ متى تعيشين هنا؟

www.alkottob.com

– منذ عام. وحتى ذلك التاريخ كنت أعيش في شقة مع بعض الصديقات.

ابتسم:

– نسيت صغر سنك. لابد أن تكوني قد بذلت جهدا كبيرا حتى تحققي هذا.

وافقت على رأيه في صمت رافضة أن تجلس أو أن تقترب منه. اكتشف وجها آخر من أوجه شخصيتها؛ لأن شقة بهذا النظام تقطنها امرأة عاملة وليست تلك الفتاة "كارولين" التي ارتدت الشملة والجوارب المدرسية. لمس بأطراف أصابعه الكتب الموضوعة فوق الأرفف بجوار النافذة الزجاجية.

– تمتلكين إذن قاموس "أوكسفورد" بمجلداته الثلاثة عشر تصورتك جالسة ومعك عدسة مكبرة منكبة على كتاب من جزأين.

أطلقت ضحكة متوترة مقتضبة:

– لست مواظبة على قراءته..

– حقيقة؟ وأنا الذي رأيتك تقلبين صفحات دائرة المعارف على مائدة الإفطار.

– لا أستطيع أن أفتح عيني على مثل هذا العمل في الصباح الباكر.

نظرت إليه ثم قررت أن تقترب منه فأمسكت بيده..

– هل أتيت إلى هنا حتى تعرف أسلوب حياتي؟

– أعترف لك بأنني أردت أن أكون فكرة دقيقة عن البيئة التي تعيشين فيها. لكن صدقيني يا حبيبتي، إنني كنت مشتاقا إلى أن أراك.

– لا أشك في ذلك.

لمست أصابعه وجنتها برفق ومالبثا أن أصبح كلاهما بين ذراعي الآخر في عناق حار يتحسس كل منهما الآخر حتى يتأكد من حقيقة

تلك اللحظة التي عاشها.

– "جيفري" كثيرا ما كنت أتساءل: هل سنعيش مثل هذه اللحظة ثانية؟ لقد افتقدتك بشدة.

وإذ أحس بدمعة حارة تنحدر فوق وجنة الفتاة مرر أصبعه على عينيها ثم بدأ يعبث بشعرها. فارقتها مشاعر الفرح ووضعت رأسها فوق صدره:

– كانت حياتي جحيما بدونك يا "جيفري".

– "كارولين"... "كارولين"..

خانه صوته، وعانق كل منهما الآخر حتى لا يبتعد عنه. قال متنهدا:

– أحبك يا "كارولين". كنت في غاية التعاسة بدونك. أسبوعان كاملان.. لم أستطع أن أفعل شيئا خلالهما. لم أقبل حتى على أن أطل من خلال النافذة علما مني بأنني لن أراك هناك، كم تمنيت أن تكوني معي.

كبح أنفاسه عندما بدأ جسده ينبض بالرغبة وجذبها إلى ذراعيه. دفعه هذان اليومان من مشقة السفر إلى الجنون وتجددت لديه رغبة في الحركة وقد سيطرت عليه طاقة لا حدود لها. وإذ كانت الفتاة بين ذراعيه انحنى نحو الأمام وانطلق ضاحكا لأنه أحبها ووجد نفسه معها وأن شيئا لن يفرق بينهما. أراد أن يفكر فقط فيما سوف يكون.. في هذا اليوم وهذا المساء.

اصطحبها حتى حجرة النوم ووضعها فوق الفراش ذي الغطاء المزين بزهور زرقاء صغيرة متسقة مع ألوان محتويات الحجرة الصغيرة التي بدت أشبه بعلبة حلوى أنيقة. حدث نفسه مبتسما: كم أن هذا كله شبيه بفتاته "كارولين".

– أحبك يا "كارولين".. أحبك.

– وأنا أيضا أحبك وسوف أظل أحبك دائما.

www.alkottob.com

وتعالت تمتمات السعادة عندما حلقا نحو آفاق لم يبلغها غيرهما من قبل.

استغرقا في نوم عميق وكل منهما بين ذراعي الآخر يحدوهما أمل في القدرة على التغلب على كافة المشكلات الملحة عليهما.

الفصل الحادي عشر

قامت "كارولين" مساء الأحد باصطحاب "جيفري" بسيارتها إلى المطار حيث يتوجه إلى "نيويورك" إذ كان على موعد مهم في العاشرة من صباح اليوم التالي مع أحد المنتجين. وكانت الفتاة على موعد لمقابلة نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة "ماجان" في نفس تلك الساعة. فقبل قيامها بعطلتها كانوا قد أثاروا فكرة احتمال إيفادها إلى "روما" في شهر سبتمبر (أيلول) ، ابتسمت لفكرة أن شيئا لن يستطيع أن يفرق بينهما.

سألها "جيفري" -بصوت حمله نبرات مرح مفتعلة عندما توقفت أمام باب السفر-:

- هل بدأت تفتقدينني؟

- كنت أود أن تبقى معي مدة أطول أو أن أرحل أنا معك.

ضمها إلى صدره بشدة من قبيل المواساة.

- كنت بحاجة إلى أن أكون بقربك.

كانا قد قضيا اليوم معا. فعلى الرغم من المشاغل المتباينة التي تحفل بها "واشنطن" لم يغادرا الشقة سوى مرة واحدة فقط لشراء احتياجاتهما من أحد محلات البقالة. لم يعيشا ذلك اليوم سوى لنفسيهما فقط بلا راهبات ولا قاصرات ولا اتصالات هاتفية فلم يكن هناك سواهما.

أوحت أضواء المدينة وحرارة الجو وكثافة المرور إلى "كارولين" بأن "جيفري" بصدد أن يضيع منها.

قال قابضا على يدها -كما لو كان تأكيدا لوعده-:

- سوف أتصل بك هاتفيا بمجرد أن يتسنى لي ذلك.

وعلى الرغم من كآبة ملامحه في تلك اللحظة إلا أنها تمكنت من تمييز ابتسامته.

- أريد أن تشاركيني الحياة.. تعلمين ذلك؟ وسأكون جزءا من حياتك حتى نهاية العمر. ليس بإمكاني الانتقال من "لوس أنجلوس"، وليست لدي إمكانات الانتقال من تلك المدينة طالما كنت راغبا في مواصلة مزاولة مهنتي. كذلك فإنه لا شيء يعطيني الحق في أن أطلب منك أن تتركي كل ما لك هنا: عملك وأسرتك وأصدقاءك؛ لأنه من الأنانية أن أفرض عليك مثل هذه التضحية. لكنني آمل أن أعيش معك يا "كارولين" لأنني أحبك. فكري فيما قلته لك الآن يا "كارولين".. اتفقنا؟ وإذا أمكنك..

ثم توقف عن الكلام تماما حتى يلتقط أنفاسه:

- فكري في هذا الأمر.

قبلها مودعا ثم مضى دونما نظرة إلى الوراء. شاهدت الفتاة قوامه المتميز متوجها نحو بوابة السفر. تمنت لو أنه توفر لديها مزيد من الوقت حتى تتحدث معه. من الغريب أن فكرة انتقالها من "واشنطن" لم تضايقها على الإطلاق، لكنها حسبت للحياة في "لوس أنجلوس" ألف حساب. هل ستتمكن من الانسجام مع عالم "جيفري" ذلك العالم الذي طالما بدا لها غير واقعي بالرغم من مناقشاتهما الدائمة عنه؟

*****

www.alkottob.com

أوفد "ماجان" فريقا من المستشارين يضم "كارولين" في مهمة رسمية إلى "أوروبا" تستغرق شهرا، تبدأ بـ"روما" ثم بون" ثم "باريس" وتنتهي بـ"لندن". بعثت إلى "چيفري" برسائل عبرت فيها عن حبها له واشترت من أجله بعض الهدايا التذكارية من تلك البلاد التي زارتها. وكان من جانبه يتصل بها هاتفيا في أوقات غير مناسبة، وقد نجح في أن يبعث إليها بباقة ورد على حجرتها بكل فندق نزلت به. وعلى الرغم من إحساسها بوحدة قاتلة في تلك الأثناء إلا أن عملها يوميا على مدى عشر ساعات كاملة هون عليها آلام الفراق.

ولدى عودتها إلى "واشنطن" وجدت أن مكتبها كان محملا بأعداد من التقارير والمذكرات التي كان قد تم إعدادها أثناء غيابها. بدأت في يوم جمعة مشمس ترتب أوراقها لكن بغير اقتناع كبير، بل على عكس ذلك راودتها رغبة في أن تشعل النار في كل هذه الملفات. ومع ذلك وبحكم العادة بدأت تنظم أعمالها. عثرت أثناء أداء هذه المهمة على مذكرة اقترح فيها إنشاء وظيفة منسق مشروعات على أن يكون مقرها "لوس أنجلوس". وكان تعيين "كارولين" في تلك الوظيفة سيصبح بمثابة ترقية لها يُخول إليها بمقتضاها مزيد من السلطات مع إنقاص عدد مأموريات العمل التي تقوم بها إلى خارج البلاد والانتقال إلى الساحل الغربي.

أحست "كارولين" بأن مؤهلاتها تفوق مثيلاتها لدى المرشحين لشغل هذه الوظيفة والمتقدمين لشغلها. من المؤكد أنه لن يكون هناك أي إغفال لسنوات الخبرة الطويلة التي ميزت الآخرين، لكن وصف الوظيفة نص على ضرورة إتقان شاغلها عددا من اللغات من بينها اللغة اليابانية.

حصلت في نهاية الأسبوع التالي على موعد للاختبار الشخصي في "لوس أنجلوس"؛ لذلك اتصلت بـ"چيفري" هاتفيا حتى تزف إليه نبأ وصولها في اليوم التالي. قالت له عبر الهاتف:

www.alkottob.com

- دائما ما تطلعت إلى هذه المسؤولية، لكنني لم أفكر قط في أن أضطلع بها في "كاليفورنيا"؛ لأنني لا أحب هذا الموقع من العالم.

- لأنك لا تعرفينه.

- أعلم أنها مترامية الأطراف ثقيلة الظل مثل "واشنطن" وأنها لا تساوي شيئا بالقياس بـ"بيركشير".

- تعتقدين أنه يوجد هنا شيء ما من المحتمل أن يسعدك؟

- رجل وسيم معين يعمل وكيلا للفنانين.. ويمكنني دائما أن أجد سعادتي في كنف الأشجار المثمرة.

توقفت عن الحديث فجأة، إذ غالبتها رغبة في أن تكون معه. غدا..

- تهبط طائرتي في الساعة الثالثة عشرة. هل يمكنك أن تكون في انتظاري بالمطار؟

- لا، لسوء الحظ؛ لأنني مرتبط بغداء عمل. لماذا لا تلحقين بي بالمكتب؟

- اتفقنا.

- سيكون الوقت طويلا علي يا حبيبتي.. أتمنى لك السلامة.

- إلى الغد يا "چيفري".

*****

أوجبت على نفسها -بينما كانت تعيد السماعة إلى موضعها- ألا تشعر بالغضب أو بأنها غير مرغوب فيها لأنه لم يكن بوسعه انتظارها بالمطار وأن تتفهم أنه لا يمكنه أن يترك كل ما وراءه لأنها تتحرق شوقا إلى رؤيته.

لكن شهرين كانا قد انقضيا..

*****

طابق البناء الذي شغل مكتب "جيفري" مكانا فيه كما كانت "كارولين" قد تخيلته عليه تماما، أحست باضطراب شديد. فلم يكن قد أخبرها بالكثير عن حياته في تلك المدينة ولا عن عمله، فلم يكن لديها في هذا الصدد سوى بعض الانطباعات استقتها من بعض الظواهر، مثل انشغال خطوطه الهاتفية بصفة مستمرة ومواعيده مع مشاهير المنتجين وعملائه وعنوانه في "بيفرلي هيلز".. وصورة سيارته "الجاجوار" مع "بلانش دياموند". وعلى الرغم من ثقتها بكفاءاتها وتميزها ذهنيا وبدنيا فقد توترت أعصابها تخوفا من المجهول الذي ينتظرها حتى إنها اعتقدت أن هذه الرحلة إلى الساحل الغربي من الممكن أن تضع نهاية لكل أحلامها.

توقفت بها سيارة الأجرة التي كانت قد استقلتها أمام برج زجاجي في قلب حي رجال الأعمال بـ"بيفرلي هيلز". توقفت قليلا فوق الرصيف حتى تشاهد المارة.

لم تر أي وجه للشبه بين البناء المشيد منذ أوائل القرن الحالي والذي يستأجر "ماجان" فيه مكاتبه وبين هذا المبنى الجميل. فهي تعيش في "واشنطن" حياة هادئة.. حافلة وراقية لكن برزانة وهدوء.. وفي وحدة.

توقف المصعد بها بالطابق العاشر، وابتسمت إلى مضيفة الاستقبال الشابة وكانت مشغولة بالرد على الهاتف. جلست فوق إحدى الأرائك البيضاء واضعة حقيبة ملابسها عند قدميها فبدا لها وكأنها تشاهد لوحة فنية عملاقة زاهية الألوان.

قالت موظفة الاستقبال:

– ماذا يمكنني أن أفعل لك؟

– اسمي "كارولين جراي". "جيفري" في انتظاري.

– نعم.. بكل تأكيد.

ثم ناولتها رسالة:

www.alkottob.com

– كلفني بأن أسلمك هذه. هل لك في قدح قهوة أم..

– لا.. شكرا لك.

وبدأت الفتاة تقرأ مذكرة "جيفري":

"كارولين" أحمد الله على سلامة وصولك يا حبيبتي. كنت أتمنى أن أكون بالمكتب.. ولكن لدي أخبارا غير سارة. ثمر إحدى موكلاتي بظروف صعبة وهي بحاجة إلى مساعدتي. وهذا يقع ضمن اختصاصاتي. سوف أصحبها لتناول العشاء بأحد المطاعم ثم أتركها في حفل استقبال سوف تلتقي فيه بأناس سبق لهم خوض مثل هذه التجربة. أرجو أن أتمكن من الانتهاء من هذه المهمة في وقت قريب وأراك في وقت لاحق في حوالي العاشرة. أحبك – "جيفري".

انقبض قلبها. طوت الرسالة ووضعتها في جيبها. جلست فوق حافة الأريكة وأخرجت ورقة من إضمامتها كتبت إليه فيها ما يلي:

"بحلول الساعة الثانية والعشرين التي تعادل الواحدة صباحا بتوقيتي أكون قد استوفيت كافة أركان الإرهاق وبدأت أشعر بالضيق بالفعل. هل تعتقد أنه سيكون بإمكانك أن تعطيني لحظة من وقتك الثمين أراك فيها قبل أن أعود إلى بلدي؟ تعلم كم أفتقدك. إلى أي مدى تعتقد أن امرأة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الوضع؟"

*****

ودون أن تضيع أي قدر من الوقت في إعادة قراءتها أعطت الورقة إلى الموظفة وهي تبتسم. وعندما استقلت سيارة الأجرة التي حملتها إلى فندقها انفجرت في بكاء حار.

*****

في الساعة الثانية والعشرين كانت جالسة فوق فراشها وحقيبة

ملابسها مفتوحة بجوارها. لم يمكنها الاهتداء إلى النوم. كان من الطبيعي أن يدفعها التعب والتوتر إلى أن تلتمس لـ"چيفري" بعض العذر، كانت قد قضت بعض الوقت في حمام السباحة، ثم نامت قليلا ثم نزلت إلى مطعم الفندق حيث تناولت عشاءها. ندمت أثناء تناولها الوجبة على تسرعها في كتابة تلك الكلمات لـ"چيفري".

كانت تتساءل عن نوعية الإجابة التي كان يحتفظ لها بها عندما سمعت قرعا على الباب.

– "كارولين".. افتحي. أنا "چيفري".

أسرعت تلقي أوراقها بداخل حقيبة أوراقها، وبعدما خفضت الإضاءة صفقت شعرها بينما بدأ يطرق من جديد:

– "كارولين"!

أثار صوته فيها مشاعر مماثلة لما عرفتها يوم أن صاح من الضفة الأخرى للنهر. لم تستطع أن تقاوم مدة أطول ففتحت له الباب وهي تتثاءب فكادت أن تفقد قدرتها على التنفس.

كان في زي أبيض من الرأس حتى القدمين، وبدا شعره أكثر قتامة وعيناه أعمق اخضرارا. كانت قد نسيت تقريبا طول قامته ونحافتها ورجولته الطاغية. بدا لها على مدى الأسابيع السابقة أن من السهولة أن تستعيد جميع الذكريات الدافئة أثناء تفكيرها فيه: رائحة عطره وجرس صوته وملامسة جسده لجسدها، وعاد الآن كل هذا ليطغى عليها.

وضع "چيفري" يدا فوق هيكل الباب، وتأملها من خلال عينين طارفتين وفجأة أدركت أن السبب في ذلك راجع إلى ردائها وكان قميص نوم ذا فتحة عنق عميقة من "الدانتيل". ولم تكن مرتدية أي شيء على الإطلاق من تحت هذا الثوب الشفاف. ولم تخف أي من تلك التفاصيل على "چيفري".

– كان ينبغي أن تكوني أكثر حرصا قبل أن تفتحي الباب.

أفاقت "كارولين" من أحلامها على أثر النبرة الجافة التي خاطبها بها:

– ولماذا؟ على مدى رحلاتي لم ألتق بشخص واحد يدعى "چيفري". صاح مناديا علي يأمرني بأن أفتح الباب بصوت لن أنساه..

– كفى. أعلم أن الساعة تكاد أن تكون الثانية صباحا بالنسبة لك لكن هل يمكنني أن أدخل؟

رفعت كتفيها:

– من الأفضل ألا تظل في الممر تناقشني.

وذهبت جهودها لأن تظل غير مبالية أدراج الرياح. ففي اللحظة التي رأته فيها تجاوب جسدها بكل قواه مع وجوده. وهذا ما دفعها إلى أن تعلم أنها لن تكون على حالتها الطبيعية بدونه قط. قال–وقد وقف خلفها–:

– من الذي تحدث عن ضرورة أن يكون هناك حديث بيننا؟

التفتت نحوه قائلة:

– أنا! "چيفري جولدويل" كنت من الصفاقة بحيث تركتني وحدي تماما، بينما ذهبت تلهو مع إحدى المخلوقات البديعة.

– "كارولين".. أراك غاضبة.

– نعم!

– توقعت ذلك. لا تؤاخذيني، لكنني ظننت أن فتاة عائدة من رحلة عمل في "أوروبا" من الممكن أن تتصرف بدوني خلال الفترة التي أقوم فيها بتسوية بعض الأمور المهمة.

بدا هادئا تماما. وجلست الفتاة فوق حافة الفراش.

– ترفض أية تضحية من أجلي، آتي من "واشنطن" وأقبل النقل إلى "لوس أنجلوس" حتى نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، وأقضي ليلة في انتظار أن تتفضل بالمجيء.

www.alkottob.com

عقد ذراعيه فوق صدره:

– ظننت أنك قد نمت.

– نعم.. أعني لا.. إنني..

ثم تنهد:

– لا بأس.. لقد أثبت علي الخطأ. هل دائما تلجئين إلى أسلوب التعالي عندما تكونين محقة في رأيك؟

ثم رمقها بابتسامة اقشعر لها بدنها:

– لحظة واحدة، تدعين التضحية من أجلي، ألا تمثل الوظيفة التي أتيت إلى هنا لشغلها ترقية لك؟

– بلى.

– وهو ما يعني علاوة يعتد بها في المرتب.

– حوالي ثلاثين في المائة.

– مع انطلاقة جيدة في الوظيفة؟

– ممتازة.

اقترب منها.

– لا أعتبر هذا تضحية إذن. ولا نقلك إلى هنا لشغلها.

ودون انتظار لإجابتها استطرد يقول بعد أن جلس بجوارها:

– لقد ضحيت من أجل نفسك.. ومن أجلي. من أجل كلينا.

بعثت تلك الكلمات التي همس بها في أذنها طمأنينة كاملة، شبكت يديها فوق ركبتيها في محاولة لإبداء خضوع لا جدوى منه.

– أما عن قضاء الليلة في انتظاري فسيكفيك أن تعتادي على التوقيت الذي يحكم هذه البقعة من العالم. وبعد كل ذلك ينبغي أن أضيف بأنه كان يمكنني أن آتي إليك في موعد مبكر جدا عن الآن لو أنك قد كلفت نفسك عناء أن تخبريني باسم الفندق الذي تنزلين به. هل لديك أدنى فكرة عن عدد الفنادق التي في هذه البقعة؟

هزت رأسها.

– قضيت وقتا طويلا في الاتصال بها الواحد بعد الآخر ولحسن الحظ أنه أمكنني الاهتداء إليك في النهاية. وفيما يتعلق بالتضحية كان يمكنك أن تبقي عندي لكنك لم تقبلي أن يعتقد زملاؤك في العمل عنك شيئا.

قالت "كارولين" راضية:

– حسنا. لقد غلبتني. لكنني شعرت بأنك تحاول اجتنابي.

وبدون أية كلمة أخرى أخذها بين ذراعيه وأرقدها فوق الفراش فنظرت إليه ضاحكة وعيناها تتقدان سعادة.

همس قائلا:

– افتقدتك.

أدخلت يديها إلى ما تحت صدرته بينما استأثر بشفتيها.

– حدث بي رغبة في أن أقذف بتلك المرأة الشابة إلى الجحيم لكن ذلك ليس من خصالي... تماما كما لم يمكنك أن تتوصلي إلى قرار بأن تغادري "مزرعة قوس قزح" لتقضي الأسبوعين اللذين كانا متبقيين من عطلتك معي. لا يتوقف كل شيء علينا بالضرورة.

تحسست جسده العضلي من تحت قميصه الحريري. قالت مبتسمة:

– أعلم ذلك.. لكن من دواعي سعادتي أن ألتقي بك ثانية.

ومرة أخرى استأثر بشفتيها في قبلة حارة امتزج فيها الاندفاع بالرقة بعد هذا العدد من أسابيع الفراق الطويلة.

– "جيفري" كم انتظرت هذه اللحظة..

كانت تحبه وتريده وكانت بحاجة إليه هو وحده ولا أحد غيره.

بلغا ذروة السعادة معا واستسلما لنوم هادئ وكل منهما بين ذراعي الآخر.

www.alkottob.com

الفصل الثاني عشر

وقفت "كارولين" في صباح اليوم التالي أمام نافذة مكتب "چيفري" تتأمل فخامة منظر "بيفرلي هيلز". وعلى الرغم من أن جنوب "كاليفورنيا" كان مختلفا تماما عن "واشنطن"، إلا أن هناك بعض أوجه الشبه بينهما. فلم يختلف موظفو مكتب "ماچان" بـ"لوس انجلوس" عن أقرانهم بـ"واشنطن". كانوا يرتدون الثياب التقليدية ويتصرفون بحكمة ويرتادون الأماكن الهادئة بهدف المحافظة على سمعة مكتبهم العالمية. أما الاختلاف الملحوظ فكان متمثلا في المساحات الخضراء واتساع المدينة وإيقاع الحياة.. ورأت الفتاة أن كل هذا كان مسليا وجديرا بالاهتمام.

ابتسمت عندما سمعت "چيفري" يقرأ بصوت خافت أحد العقود وقد بدا وكأنه يتحدث بلغة غريبة.

نبضت الحجرة بالحماس والطاقة وكان الأثاث الوحيد بها مكتبا محملا بالأوراق وثلاثة مقاعد مريحة كبيرة الحجم. وفي أحد الأركان وقف على غير المتوقع تمثال من البرنز لراقص بالحجم الطبيعي. وعلقت على أحد الجدران صورة فوتوغرافية ناصعة البياض يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر. وكان هناك أيضا عدد من التحف صغيرة الحجم التي كان من الأحرى على الفتاة أن تختارها من أجل منزلها، من المؤكد أن ميزانيتها لا تسمح باقتناء أعمال فنية على هذا المستوى، ولم يعتد "ماچان" أن يوفرها لمستشاريه أما "چيفري جولدويل" فبمقدوره اقتناء العديد منها وهذا ما يوسع الفجوة بينهما، لم تشعر بالقياس بمعاييرها بأنها فقيرة ولا قبيحة، لكن ما هو الحال في عيون "بيفرلي هيلز"؟

– "كارولين" تعلمين.. أراك رائعة هذا الصباح.

– هل ستقول لي مثل هذا الكلام العذب حتى لو لم أفز بتلك

الوظيفة لدى "ماچان"؟

عندما نظر إليها رأى أنها لم تكن مازحة. لهذا أجابها بنبرة رقيقة:

– مشكلة واحدة في كل مرة.

– بكل تأكيد. هناك معهد "واتس" الديني على نمط مدرسة عمتي والذي يمكنني أن أقوم فيه بتدريس اللغتين: اللاتينية واليونانية..

– "كارولين"!

رفعت نحوه وجها ملائكيا:

– أكاد أموت جوعا. ألا تفكر في الذهاب لتناول الغداء؟

فتح بابا واقعا خلف مكتبه، ودخلا من خلاله إلى جناح على النمط العصري، بدا المكان لها جامعا بين حجرة مائدة وحجرة استقبال وكان مطلا على المدينة وقد ألحق به مطبخ وحجرة نوم. عكس كل ذلك ذوق "چيفري" وإمكاناته المالية.

ظلت الفتاة ساكنة حيث كانت:

– هل.. هل تعيش هنا؟

لاحظ دهشتها.

– لا، أرى أن وجود شقتي في مقر عملي أمر عملي، لكنني امتلك منزلا في "ماليبو". كل شيء مختلف هناك.

– ما أعنيه هو أن هذه الديكورات تروق لي. وبصدق..

– لكن من غير الممكن أن تعيشي هنا.

– لا أعتقد ذلك على الرغم من أن هذه الشقة أكثر اتساعا من شقتي في "واشنطن".

أمسك بيدها:

– حبيبتي.. أعلم أنك لست معتادة على كل هذا.

أسندت رأسها فوق صدره:

www.alkottob.com

– كنت فقط أريد..

ثم أعادت تقييم كلماتها وقالت:

– لقد علمت الآن إلى أي مدى كنت أجهل كل شيء عنك.

– والحال كذلك سوف أطلعك على كل شيء.

رفعت كارولين" عينيها نحوه مبتسمة فقبلها طويلا.

سوف تعرف أخيرا ما إذا كان يمكنها أن ترى لها مستقبلا معه.

*****

قضيا عطلة نهاية الأسبوع في "ماليبو" بالكوخ الذي يمتلكه "جيفري" والمشيد من الخشب والزجاج. أوحت كل ديكورات المكان بالراحة والاسترخاء. جلست "كارولين" في الشرفة المواجهة للمحيط ولم يتجه تفكيرها إلى "واشنطن" قط. قالت:

– المحيط الباسفيكي لا يشبه المحيط الأطلنطي.

– ماذا تعنين؟ كلاهما محيط.

– نعم، لكن الماء أكثر زرقة.

ثم أخذا يراقبان الأمواج أثناء مناقشتهما ألوان البحار، اصطحبها "جيفري" يوم السبت إلى أول حفل استقبال تحضره. اختارت لهذه المناسبة ثوبا من الحرير الأسود انسدلت فوقه خصل شعرها الأشقر المتموج الثائرة. لاحظت أثناء الأمسية أن زينة وجهها لم تكن على مستوى كمال ماكياج المدعوات الأخريات، إذ كانت مفتقرة إلى قدر من الفخامة. وعلى النقيض من ذلك بدا "جيفري" منسجما تماما مع ذلك الجو المحيط به، وكان معروفا للجميع.

اكتفى بأن قدمها إلى أصدقائه باسمها مجردا تاركا لها أمر تزويد من يريد بأية تفاصيل أخرى. شعرت "كارولين" بالخجل متسائلة ماذا ينبغي أن تقوله؟ لكنها اختارت في نهاية الأمر أن تتمسك بعبارة

"إنني أعمل بمنشأة "ماجان"، وأتيت إلى "لوس أنجلوس" في رحلة عمل" حتى لا تبدو مزهوة أو متعالية.

سألتها شقراء ساحرة:

– ما هي ظروف التقائك بـ"جيفري"؟

قالت باختصار شديد:

– كان في "بيركشير".

– أووه.. في زيارته الساحل الشرقي؟

– نعم.. كنت.. كنت أعرف جده جيدا.

صاحت المرأة الأخرى:

– عظيم.

ثم بدأت تتحدث عنها مع آخرين.

وصل "جيفري" لنجدتها وأخذها معه إلى ركن هادئ:

– الناس هنا يميلون إلى التركيز على الذات. هل قضيت وقتا طيبا؟

– مذهلا.

فانفجر ضاحكا قبل أن يصارحها بقوله:

– إنني أشعر بملل قاتل! لا أحب مثل هذه الأمسيات يا "كارولين" أفضل عليها حفلات العشاء البسيطة التي يسودها جو من الصداقة.

وضعت يدها في يده هامسة:

– لم أقع في غرام شخص مختلف عني إذن. حفلات الكوكتيل في "واشنطن" لا تستهويني بل وتشعرني بالضيق والملل.

– إذا ما حصلت على ترقيتك فلابد أنك سوف تأخذينني معك في حضور مثل هذه النوعية من حفلات الاستقبال بين الحين والحين.

ضحكت وقد تصورت للمرة الأولى حياة تجمع بينهما. لو أنها نجحت. لكن ماذا لو اختلف الحال...؟ كما سبق له أن قال.. مشكلة واحدة في كل مرة.

*****

www.alkottob.com

أسفرت نتيجة اختبارها الشخصي في يوم الاثنين عن أفضل نتيجة ممكنه. كانت قد اتصلت لدى عودتها إلى الفندق بمكتب المنشأة في "واشنطن" حيث أبلغوها بشائعة مفادها أن "بيتر ماجان" شخصيا قد قرر نقل "كارولين جراي" إلى "لوس انجلوس"، أرادت الفتاة أن تبلغ "جيفري" بهذا النبأ السار، لكنه لم يكن بمكتبه. اتصلت هاتفيا بعمتيها فعبرتا لها عن اغتباطهما بهذا الخبر. فما كان منها إلا أن أذعنت إلى دفعة تلقائية ودعتهما إلى المجيء إلى "لوس أنجلوس" لحضور الاحتفالات بعيد الشكر هناك والمقرر لها أن تقام في نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، الأمر الذي رحبت الراهبتان به على الفور.

*****

تذرعت بعد ظهيرة ذلك اليوم بجميع الاحتياطات والمبررات حتى تخبر "جيفري" بأمر تلك الزيارة. صاح في وجهها قائلا:

– أنت ماذا؟

– أنا دعوت عمتي للمجيء إلى بيتك. أعلم أنهما قلقتان علي وهذا سوف يطمئنهما عندما تريان بنفسيهما نوعية الحياة التي أعيشها هنا. من الغريب أنني لم أفكر فيهما قط تقريبا منذ لحظة مجيئي إلى هنا.

– ووالدك؟ لماذا لم تدعيه أيضا؟

قالت بهدوء شديد:

– فكرت في ذلك، لكنه ليس لديه وقت الفراغ الكافي في هذا الوقت من العام.

– متى تصلان؟

– غدا.

رتب "جيفري" أموره لاصطحاب "كارولين" إلى المطار. كان قد أقسم على أن يكون مهذبا مع الراهبتين على الرغم من عدم رغبته في رؤيتهما في تلك الآونة. كان يعلم يقينا أنه لا يمكنه التدخل بين الفتاة وعمتيها ولم يرج ذلك.

لكنه كان يفضل أن يكون معها على انفراد لبعض الفترات، ولم يهتم بما إذا كان سيوصف بالأنانية.

وقف أمام باب الوصول حيث رمقها بابتسامة عذبة، بينما كان يستشيط غضبا في قرارة نفسه.

رأى عندئذ الراهبتين في زيهما الرمادي وصندليهما المجدولين من الحبال. أشارت "كارولين" إليهما بيدها وقد اتقدت عيناها سعادة.

– منذ متى لم تريهما؟

– منذ بضع أسابيع.. بعد عودتي من "أوروبا".

تذكر "جيفري" الرسالة الغاضبة التي كانت الفتاة قد كتبتها إليه بعد غياب دام شهرين.. لن يسمح لنفسه بمقارنة علاقتهن بتلك التي ربطت بينه وبين أسرته.

ومع ذلك لم يسعه أن يمنع نفسه من التساؤل: هل كانت لا ترغب في أن تعود إلى "واشنطن"؟

أبعد تلك الفكرة عن ذهنه. وبعد القبلات وكلمات الترحيب اصطحب ثلاثتهن إلى سيارته الفاخرة.

*****

عندما وصلوا إلى "ماليبو" قامت "كارولين" بتقديم الشاي في الشرفة. وكان لشدة دهشة "جيفري" أن نهضت الأخت "جوزفين" من فوق مقعدها لتقول:

– هذا هو المحيط الأطلسي! يبدو لي أعمق زرقة من الأطلنطي. ألا

www.alkottob.com

ترين ذلك يا أخت "جوان"؟

تبادل الشابان النظرات، وابتسم "چيفري" مؤكدا أن شيئا بينهما لم يتغير. فقد أحبها وكان يأمل أكثر من أي وقت مضى أن تشاركه حياته. استأذن قائلا:

– ينبغي أن أقوم ببعض الاتصالات الهاتفية. سوف أعود حين تنتهين من تناول الشاي.

واختفى.

قالت الأخت "جوان":

– أعتقد أن "چيفري" متيم بك بقدر ما أنت متيمة به.

ثم أضافت بينما كانت تعيد القدح إلى المنضدة:

– وإن لم تبد عليه السعادة لرؤيتنا.

فقالت الفتاة معترضة بلا اقتناع:

– لا!

فقاطعتها عمتها بقولها:

– تطورت الأمور بينكما إلى ما هو أبعد مما كنا نفترضه. ولو كنا قد علمنا ذلك لما قبلنا دعوتك قط.

فقالت "كارولين":

– لا تؤاخذاني.. فأنتما تعلمان كم تسعدني رؤيتكما..

فقالت الأخت "جوان" –مؤكدة حديثها بإشارة من يدها–:

– بكل تأكيد. وسوف نعود إلى هنا مرة أخرى أما الآن فأرى أنه من الحكمة أن نرحل.

وقالت الأخت "جوزفين" مؤكدة:

– "كارولين" ليس هناك حل آخر.

– لا يريد "چيفري" أن يتدخل بيننا وإذا اعتقد أن..

فقاطعتها الأخت "جوان" بقولها:

– لن يفعل شيئا من هذا. سوف نهتدي إلى خطة ما.

فقالت الراهبة الأخرى:

– ثقي بنا.

انتقلت نظرة الفتاة من إحدى الراهبتين إلى الأخرى فرأت أنهما أبعد ما يمكن أن تكونا عن مظاهر الغضب، بل على العكس كانتا متحمستين لفكرة الاهتداء إلى ذريعة تختفيان بموجبها، وكانت تلك بمثابة مغامرة مثيرة بالنسبة لهما. تنهدت "كارولين" قائلة:

– لم تتركا لي أية فرصة للاختيار.

الفصل الثالث عشر

اتصف أسلوب "چيفري" بالتهذيب والأدب الجم. اصطحب الراهبتين لزيارة "بيڤرلي هيلز" ودعاهما إلى العشاء. ومنذ ذلك اليوم لم تفلح "كارولين" في أن تحصل منه على أي من ابتساماته المثيرة، وبينما تحرقت هي شوقا إلى أن تلمسه حرص هو على الابتعاد عنها.

نزلت الراهبتان بنفس الفندق الذي كانت الفتاة قد اختارت الإقامة به وتحمل "چيفري" نفقات حجرتهما. ولم تجرؤ "كارولين" على أن تعترض. وعندما استأذنت عمتيها في الذهاب إلى حجرتها وعدتها عمتاها بأن كل شيء سوف ينتهي على خير ما يرام.

*****

كان "چيفري" ينتظرها أمام باب حجرتها. قالت مخاطبة إياه – وهي تدخل الحجرة–:

– أعتقد أنك سوف تقضي هذه الليلة بالمكتب.

فتوتر قائلا:

– لم تتركي لي بديلا عن ذلك.

www.alkottob.com

– ينبغي أن نراعي المظهر العام.

فقال بصوت مقتضب:

– إنني مقدر ذلك.

– لا، لأنك غاضب.

وعندما أغلق الباب من خلفه بركلة من قدمه اتقدت عيناه بالضياء:

– إطلاقا.

وبثلاث خطى أصبح أمامها مباشرة.

– وما قولك في أن أصحب عمتيك إلى المطار، وأضعهما في أول طائرة متوجهة إلى "واشنطن"؟

– لا ترغبان في ذلك.

وفجأة أخذها بين ذراعيه وقبلها بعنف، تركها مشتاقة إليه، قال متمتما من بين فكين صارين:

– أتمنى لك نوما هادئا.

ثم تركها ترتجف بردا وخواء.

*****

في اليوم التالي وبعد نزهة طويلة أعطى "جيفري" الراهبتين صورا لبعض الممثلات من موكلاته وعليها إهداؤهن فسعدتا بها حيث أسرعتا بإضافتها إلى مجموعتهما من البطاقات والصور التذكارية والأشياء الأخرى التي كانتا قد اشترتاها من أجل نزيلات دارهن.

تناولت الراهبتان والفتاة بعد ذلك الشاي بالشقة الملحقة بالمكتب بينما تفرغ "جيفري" لبعض مشاغله المتعلقة بعمله.

ما إن أصبحن بمفردهن معا حتى عرضت الراهبتان خطتهما. حاولت "كارولين" أن تثنيهما عنها، لكنهما أصرتا على عدم

التراجع. فاضطرت الفتاة إلى أن تذعن لرغبتهما. نظرت الأخت "جوان" إلى الساعة المتدلية من حزامها المصنوع من الحبال. ثم قالت:

– دقت ساعة التصرف.

فقالت الأخت "جوزفين":

– "كارولين" إننا نفعل هذا من أجلك.

– أرجو ألا تشعرا بأنكما مضطرتان إلى..

فقاطعتها الأخت "جوان" بقولها:

– لا، بكل تأكيد. إننا أساس الفكرة.

وطبقا لما كان متوقعا ظهر وكيل الفنانين أمامهن ليعلن للراهبتين أن الأسقف "جراي" يطلبهما على الهاتف.

قفزت "كارولين" من فوق مقعدها وهي تصيح:

– تعني أن أبي..

وفي حديث خاص بينها وبين "جيفري" الذي كان يتناول قدح شاي دون أن تبرحها عيناه اعتادت فكرة اشتراك والدها معهن في تلك الخطة. سعلت في محاولة لأن تبدو هادئة الأعصاب.

سألته متظاهرة بالبراءة:

– هل أخبرك.. بما يريده؟

– شيء ما حدث لإحدى النزيلات الممسوخات.

فقالت مبتسمة:

– مهلايا "جولدويل" تبدو عيناك مثل عيني جدك الشبيهتين بعيون الثعالب.

أخذها بين ذراعيه على الفور ضاما إياها إلى صدره إلى حد إيلامها، وإذ كانت يدها فوق صدره أحست خفقان قلبه.

– لو كنت أنا "سيث راثبون" لوضعت عمتيك العزيزتين على أول طائرة متاهبة للإقلاع بغض النظر عن وجهتها، وبعد ذلك يا حبيبتي تصرفت فيك وفقا لمزاجي الخاص.

www.alkottob.com

كانت "كارولين" قلقة لأن "جيفري" لم يبد في حالة معنوية تسمح له بالمزاح.

تخلصت من قبضته، وبدأت تذرع الحجرة بخطاها.

– ينبغي أن تعلمي أنني قد أثبت بطولة حقيقية على مدى أربع وعشرين ساعة. بدا لي تركك بالأمس.. أمرا غير محتمل إطلاقا.

التهمتها نظرات عينيه في صمت تام. كانت قد ارتدت ثوب حمام الشمس الأزرق، نفس الثوب الذي كانت ترتديه يوم أن قاطع حصة اللغة اللاتينية في ظل الصخرة. وقد توالت الأحداث بينهما!

سكنت الفتاة في مكانها وأخذت تتأمله. أحست وكأن جسدها يميل نحوه ويتجاوب معه.

قال بصوت خافت كمن يحدث نفسه:

– في غضون بضعة أيام..

ثم ضرب المنضدة بقدمه.

– يا إلهي! لقد نسيت أنك أنت أيضا سترحلين في غضون بضعة أيام، "كارولين" لا يمكنني احتمال فكرة أن أتركك تستقلين الطائرة مع عمتيك.

وفتح الباب.

تماسك "جيفري جولدويل" على الفور وسرعان ما بدا بمظهر المضيف المهذب ماحيا كل أثر للمشاعر التي كادت أن تستهلكه منذ بضع ثوان سابقة.

قالت الأخت "جوان":

– حدث شيء غير سار. اقترفت إحدى نزيلاتنا خطأ هذا الصباح، أخذت رصيد حسابها بالبنك وتركت لوالديها كلمة قالت فيها: إنها لن تعود قط".

فقال "جيفري" متعجبا بقلق شديد:

– يا إلهي! من هي التي فعلت ذلك؟

ترددت الأخت "جوزفين" قليلا تحت نظرته الثاقبة قبل أن تقول:

– "أمبر".

وقالت "كارولين" متنهدة:

– لا!

فأومأ برأسه قائلا:

– لا أرى غرابة في ذلك.

قالت الأخت "جوزفين" مفسرة ما حدث:

– كانت قد انتظمت في دراستها إلى حد كبير، لكن يبدو أن الاحتفالات بعيد الشكر قد أصابتها بانتكاسة.

وإذ أحست الفتاة بالإعياء اتخذت لها مقعدا:

– كانت تريد أن تأتي معي إلى "كاليفورنيا" إذ اعتبرت هذه الرحلة مغامرة عظمى. وكانت مولعة بـ"جيفري" إلى حد بعيد.. هل تعتقدان أن هذا ربما يكون السبب في ارتكابها هذا الخطأ؟

فأجابت الأخت "جوان" متظاهرة بالتفكير بعمق:

– إنه سبب غير مباشر، ربما أرادت أيضا أن تأتي معنا.

تنهدت الأخت "جوزفين" بعمق قبل أن تستطرد قائلة:

– كنا قد نصحنا والديها بألا يتوقعا منها الكثير أثناء أسبوع عطلتها الذي تقضيه بالبيت.

فتدخل "جيفري" بقوله:

– إنني واثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام. فهذه الطفلة غير مفتقرة إلى... الحيل.

سألت "كارولين" بقلق:

– ووالداها؟

– من المؤكد أن هذه الواقعة تزعجهما إلى حد بعيد، لكن لو لم تأخذ النقود لكان قلقهما عليها بقدر أقل.

سأل "جيفري":

www.alkottob.com

– ما هو المبلغ الذي من الممكن أن يكون بحساب طفلة مثلها؟

– ألف دولار!

– لكن سنها لا تتجاوز اثني عشر عاما!

تنهدت إحدى الراهبتين:

– يؤسفني أن هذه الواقعة تضطرنا إلى إنهاء زيارتنا، يا سيد "جولدويل"، أرجو ألا ترى في ذلك تصرفا غير مناسب لأن الواجب يناديا.

قال:

– ستتولى سكرتيرتي مهمة حجز تذكرتيكما، وسوف أصحبكما بنفسي إلى المطار. ستكون "أمبر" قد عادت قبل موعد هبوط طائرتكما.

فقالت الأخت "جوزفين":

– هذا ما أتمناه من كل قلبي.

ثم رمقت "كارولين" بنظرة.

ما إن صدرت عنها هذه الإشارة حتى نهضت الفتاة معلنة:

– سأسافر معكما.

فأجاب "جيفري" على الفور:

– لا.. بكل تأكيد.

– لكنني أشعر بمسؤوليتي عما أصابها.

– لا، ستبقين هنا.

وخيم على الحجرة صمت قاتل. فقالت "كارولين" محدثة نفسها في صمت: "هذه هي لحظة الصدق".

استهدفت خطتهن إصرار "جيفري" على أن تبقى "كارولين" معه توقعا لأن تظهر الطفلة ثانية.

نظر إلى الفتاة ثم إلى الراهبتين ثم تنهد معلنا:

– أنا من سوف يسافر معكما.

فصاحت "كارولين" بصوت محتبس:

– كيف! لا.. لا يمكنك ذلك!

– حقيقة يا سيد "جولدويل"..

رفع يدا أسكت بها اعتراضاتهن:

– طالما أنها قد لاذت بالفرار بسببي، فأصبح واجبا علي أن أصحب الأخت "جوان" والأخت "جوزفين" في سفرهما؛ حتى يكون وجودي هناك بمثابة حافز لـ"أمبر" على العودة إلى بيت والديها.

*****

لم تفلح كل الجهود المبذولة في أن تثنيه عن قراره. وعندما وصلوا إلى المطار تسلم "جيفري" ثلاث تذاكر.

استطاعت ثلاثتهن في وقت لاحق التشاور في مقصورة دورة المياه.

نثرت "كارولين" ماء على وجهها قبل أن تسأل:

– هل يمكنكما أن تخبراني بما ستفعلانه في "واشنطن" عندما يتبين أن "أمبر" تقضي إجازة بسلام مع والديها في "باريس"؟

فقالت الأخت "جوان" مطمئنة إياها:

– لا تقلقي من هذه الجهة سوف نجد الحل المناسب بإذن الله.

– لا تعتمدا علي في أن أخبره بكل شيء.

أجابت الأخت "جوزفين":

– إننا متحملتان كافة المسؤولية عن تصرفاتنا.

فقالت الأخت "جوان":

– له ميل خاص لنا.

كان لدى عمتيها أكثر من خطة خافية عليها.

انتظرهما "جيفري" بهدوء أمام باب السفر، عندما رأى الفتاة رمقها بابتسامة عذبة أثارت فيها رغبة في أن تعترف له بكل شيء.

www.alkottob.com

رأت أنه ينبغي الاهتداء بأي ثمن كان إلى وسيلة تمنعه بها من السفر على تلك الطائرة.. لكن من أين لها مثل هذه الوسيلة؟

قالت الأخت "جوان" -بينما ضغطت على يد الفتاة-:

- سوف يكون كل شيء على خير ما يرام.

أعلنت إذاعة المطار عن إقلاع الطائرة المتجهة إلى "واشنطن" على الفور، فأخذها "جيفري" بين ذراعيه حيث طبع على جبينها قبلة بريئة.

عانقت عمتيها متمنية أن تكونا مقدرتين جسامة ما فعلتاه.

أحست وخزة أسى عندما شاهدت الطائرة تنطلق فوق الممر ثم تقلع بهم فتبقى هي بمفردها مع مكتب في "بيفرلي هيلز" وفيلا في "مالبو"، وسيارتين إحداهما "جاجوار" والثانية "ساب ٩٠٠ تيربو" وبدون "جيفري جولدويل".

لو كانت لديها بقية من حس سليم للجأت إلى "الهند" أو إلى جبال "الهملايا" أو إلى أي مكان آخر؛ حتى لا يجدها لدى عودته بعد اكتشاف المؤامرة.

عادت إلى الفندق حيث حملت حقيبة سفرها ووجدت في انتظارها رسالة مبلغة من مؤسسة "ماجان" تخبرها فيها بأن وظيفة منسق المشروعات قد أسندت إليها.

بينما كانت توقف السيارة أمام الفيلا في "مالبو" اشتمت رائحة احتراق فحم نباتي فاعتقدت أنها منبعثة من فيلا أحد الجيران. لكن عندما فتحت الباب تبينت غير ذلك. ففي حجرة الطعام وجدت أن المائدة كانت معدة لشخصين بين بريق أدواتها وأوانيها الفضية، بينما أضافت باقة من ورود "الكاميليا" اللمسة الجمالية الأخيرة إلى ذلك المنظر الرومانسي الفريد. وفي الشرفة كان الشواء ينتظر. قامت كل هذه المؤشرات دليلا على أن "جيفري" قد أجر منزله إلى أحد أصدقائه أثناء غيابه.

- مسكين أبي!

التفتت "كارولين" مسرعة فوجدته أمامها مرتديا روبا من القطيفة المخملية ولايزال شعره مبتلا، ابتسم لها مستندا إلى الجدار.

اختفى الجزع في هذه المفاجأة:

- "جيفري"! عمتاي.. هل أخبرتاك بخطتهما للرحيل؟

قطب قبل أن يقول:

- لم تكن بهما حاجة إلى الاضطلاع بهذا العناء؛ لأنني كنت قد فهمت كل شي من تلقاء نفسي.

- كنت تعلم.. لكن كيف؟.. ومنذ متى؟

- "كارولين" حبيبتي يبدو أنك قد نسيت أنني أعمل طوال اليوم محاطا بالممثلين.

- وماذا كان رد فعلهما عندما واجهتهما؟

- انفجرتا ضاحكتين.

- واقع الأمر أنك لم تكن معتزما قط الذهاب إلى "واشنطن".

اقترب منها مبتسما:

- "كارولين".. كل ما كنت أريده هو أن أطمئن إلى أنهما قد استقلتا الطائرة بسلام. وعدتهما أيضا بأن أهب كوخ جدي والأراضي المحيطة به لهن.

- كيف؟

-بشرط واحد.طوق خصرها فأحست الفتاة برغبة في أن تغرق في عمق عينيه الزمرديتين..

قال مستطردا:

- بشرط أن تطلقا على دارهما اسم جدي.

- وبماذا أجابتا؟

- بعد لحظة تردد وافقتا في النهاية.

نظر إليها طويلا قبل أن يقبل أنفها وعينيها وفمها ويهمس:

www.alkottob.com

– حبيبتي.. أعددت المشروب المثلج المناسب والسلطة والسردين المشوي.. لكن الوجبة من الممكن أن تنتظر.. ما رأيك؟

أدخلت يدها تحت روبه فأحست جسده يقشعر لالتقاء أصابعها بجسده العضلي. أجابت متنهدة:

– إنك أنت السيد.

– والحال كذلك..

*****

– في خضم كل تلك الأحداث نسيت تماما أن أخبرك بأمر مهم.

كانا جالسين بالشرفة مستمتعين بآخر أشعة شمس ذلك النهار قبل أن تختفي خلف خط الأفق عندما قالت "كارولين" ذلك.

كانا قد تناولا عشاء هادئا جدا بالمقارنة بلهوهما المفرط في الآونة السابقة.

طرف "چيفري" بعينيه متسائلا:

– هل لك شقيق راهب؟

انفجرت "كارولين" ضاحكة:

– لا. ليس هذا.. فزت بالوظيفة.

كادت الكأس أن تسقط من يده.

– لماذا لم تخبريني بذلك من قبل يا "كارولين"؟ إنه خبر مذهل!

– نسيت تماما.

– نسيت! لقد أصابني الإعياء لفكرة أن أراك عائدة إلى "واشنطن" من أجل عملك أو من أجل أسرتك!

وقذف بكأسه فارتطمت بالدرابزين وتحطمت إلى آلاف الشظايا.

– سوف أقذفك إلى البحر.

حاول أن يمسكها لكنها قفزت إلى الشاطئ.

– "چيفري"..

أمسك بهامشيتا إياها فوق الرمال ثم جلس فوق ركبتيه، ورمقها بنظرة غاضبة بعد أن احتبس قبضتيها:

– عشت أوقاتا عصيبة أتساءل: هل كانت ظروف عملك ستتواءم مع حياتنا أم أنه ينبغي علي التفكير في وسيلة أنقل بها الجبال حتى تصبح "هوليوود" على الساحل الشرقي؟ كنت تريدين بحق أن يكون مقر عملك هنا؟

– بالتأكيد!

– من أجلي أنا؟

– لا، من أجلي أنا أيضا. من الممكن أن تعتبر هذا ترتيب القدر أو أي شيء آخر يمكنك أن تطلقه عليه. لأنني كنت سأقبل هذه الوظيفة حتى لو كنت لم ألتق بك. عندما أسندها نائب رئيس مجلس الإدارة إلي اليوم قدرت كم يعني ذلك لكلينا ولوضعي الوظيفي أيضا.

أسند رأسه على كتفها ثم احتضنها ليتدحرجا معا فوق الرمال وهما يضحكان ثم جمعتهما قبلة حارة.

– "كارولين"... أحبك وأود أن أقضي معك بقية عمري. لنتزوج على الفور يا حبيبتي.

ضحكت ثملة لفرط سعادتها:

– لنتصل بوالدي هاتفيا لنعرف متى يمكنه أن يأتي ليبارك قراننا.

– تم الترتيب لذلك تلقائيا.

– كيف؟

– عندما أجبته على الهاتف ذلك اليوم أخبرني بأنه سوف يكون بالساحل الشمالي في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر (كانون الأول)، وأنه يأمل أن يقابلني، طلب مني أيضا أن أجد لك شقة في حالة ارتباطك بالعمل هنا موحيا إلي بأنه غير مستسيغ إقامتك معي

www.alkottob.com

هنا ببيتي ،أخبرته عندئذ بأنني أعتزم أن أعرض عليك الزواج بعدما أضع عمتيك في الطائرة. هل تعلمين بماذا أجابني؟ بأن آل "رائبون" دائما ما كانوا أوفياء.

سددت إليه بضع ضربات بقبضتها:

- "جيفري جولدويل" عذبتني على مدى كل هذه المدة قبل أن تفصح لي عن نيتك. أريد أن ألقي بك في البحر!

حاولت أن تغرق رأسه في الماء، لكنه نثر عليها رمالا موجبا عليها أن تشرب هي تلك الكأس.

*****

توجها إلى المنزل وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر. وفي صمت تام رأيا البحر يمحو آثار أقدامهما علما منهما بأنهما سوف يطبعان المزيد منها في الغد.

تمّت بعون الله

angelo8
www.rewity.com

www.alkottob.com